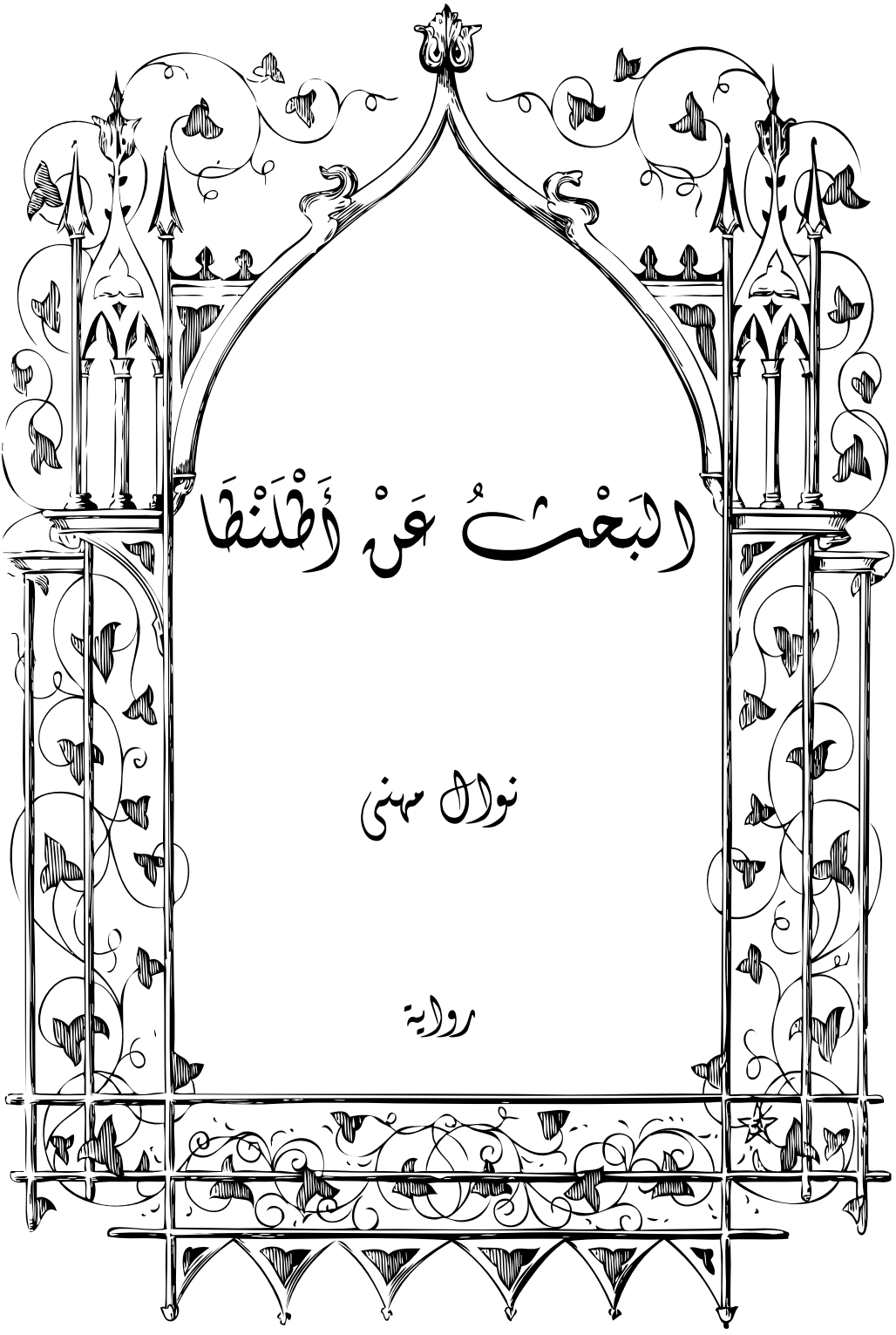

البَحْثُ عَنْ أَطْلَنْطَا

نوال مهنى

رواية

الإهداء

إلى عشاق الأدب الجميل، والخيال المحلق

أهدي روايتي

المؤلفة

نبذة تاريخية

تحكي المصادر اليونانية القديمة -وأهمها كتاب طيماؤوس للفيلسوف اليوناني أفلاطون (٤٢٨-٣٤٧) قبل الميلاد- عن قارة أطلنطا الغارقة، وتصويرها على أنها كانت ذات حضارة عظيمة زاهرة، وتطور مادي كبير، وأن سكانها قد بلغوا من الرُّقي والتمدن ورفاهية العيش مبلغًا كبيرًا؛ ولكن سوء أخلاقهم وتدنيها كانت سببًا في غضب الرب عليهم، فأغرق القارة بسكانها في ساعات قليلة؛ عقابًا لهم، فاختفت القارة في غياهب العدم.

وقد حدد أفلاطون موقع القارة الغارقة في المحيط الأطلسي قبالة مكان يسمى أعمدة هرقل (أي جبل طارق الحالي)، وقد حاول الجغرافيون والباحثون والبحارة البحث عن آثار أطلنطا، مهتدين بكتاب أفلاطون، ومنهم البروفيسور «جاك كولينا جيرارد» الجغرافي المتخصص في حضارات ما قبل التاريخ، والذي اكتشف مع فريق من الباحثين وجود «أرخبيل» قبالة جبل طارق، غارقًا في المحيط، مما يؤكد رأي أفلاطون، وفي هذا الأرخبيل تقع أكبر الجزر التي سميت -فيما بعد- «سبارتل».

وفي عام ١٨٨٢م قام مجموعة من الباحثين والبحارة الإنجليز برحلة على ظهر السفينة «جشموند»، واكتشفوا خلالها جزيرة تقع إلى

الغرب من جزر الأوزور، لم تكن مسجَّلة على الخرائط من قبل، وفوق هذه الجزيرة وجد البحارة توابيت حجرية، بداخلها مومياوات مُسجاة، فاعتقدوا أنها القارة الغارقة.

وفي الربع الأخير من القرن العشرين، أعلن بحارة سفينة الأبحاث الروسية «كرشاتوف» اكتشاف ما يُعتقد أنه بقايا أطلنطا، فقد عَثر غواصو السفينة على عوارض حجرية ضخمة، مثلثة الشكل، مما يدل على أنها بقايا أبنية قديمة وقد دعموا اكتشافاتهم بالصور التي التقطت تحت الماء، ورغم إن المؤرخين والجغرافيين اختلفوا في تحديد موقع قارة أطلنطا الغارقة، فإن تحديداتهم جميعها تراوحت حول جزر الكاريبي وسيلان والأوزور وبوليفيا وسيبيريا؛ ولكن كما يرى «جيرارد»، فإن الموقع الذي حدَّده أفلاطون يظل –حتى الآن– أقرب الاحتمالات.

وإذا كان الجغرافيون والباحثون لم يحددوا موقع القارة الضائعة، ومستوى حضارتها تحديدًا قاطعًا، فإن الأدباء -والروائيين بشكل خاص- قد صوَّروا أطلنطا بخيالتهم الخصبة -من خلال أعمالهم الإبداعية- على أنها مدن الأحلام التي تفوق قصورها المنيفة بذخًا وترفًا أساطير ألف ليلة وليلة، وكأن سكانها لا يزالون أحياء يرزقون، بعد أن تحوَّروا إلى كائنات بحرية، وكأن القارة لا زالت تموج بالحياة.

المؤلفة

الفصل الأول

في غرفة مكتبه الكبيرة، جلس الباحث الشاب يقرأ بنَهَم، ويسرح بخياله، وأحلامه تحمله إلى عوالم بعيدة، وأزمنة غابرة موغلة في القدم، فهو مُولع بتاريخ الحضارات القديمة؛ لذا يقضي جُل وقته في تحقيق المخطوطات، والنظر في الخرائط القديمة والحديثة، والمقارنة بينها، والبحث عن كل أثر له قيمة تاريخية، فهو شغوف بشكل خاص بالحضارات المندثرة والسلالات المنقرضة والمدن الدارسة.

لقد أصبح هذا البحث هو هوايته، وعمله، ومشروعه العلمي، فضلًا عن أنه كان السبب –ربما الوحيد– في فشل زواجه، فلم تحتمل زوجه الحياة مع رجل لا هَمَّ له سوى الكتب والمراجع، يقضي اليوم منغمسًا في أبحاثه، غير عابئ بها، وكأنها غير موجودة، حيث ينحصر دورها في ترتيب البيت، وإعداد الطعام، وترتيب أوراقه المتناثرة هنا وهناك، والتي تشوه البيت بعدم ترتيبها وإلقائها بشكل مهمل، ثم تُعيدها إلى حجرته التي اتخذها مقرًّا دائمًا له داخل البيت، وأطلق عليها اسم «مكتبة»؛ ولكنها في الحقيقة حجرة نوم ومعيشة وطعام، أي أنها ببساطة عالمه الخاص أو لنَقُل: عالمه كله.

ضاقت صاحبته ذرعًا بهذه الحياة، فهي تريد أن تحيا حياةً عاديةً كبقية النساء، أي إنها تريد زوجًا وشريكًا في الحياة، لا عالِما، ولا باحثًا، احتدم الخلاف بينهما، واجهته ذات يوم بأنها لم تعد تطيق الحياة، أو ترغب في العيش مع رجل لا يرعاها ولا يهتم بها؛ بل ربما لا يشعر بوجودها أصلًا، حاول إقناعها بأنه سوف يغير من أسلوب معيشته، ويعطيها جزءًا من وقته، معتذِرًا عمَّا سلف، واعدًا إياها بمستقبل أفضل، وافقته وأعطته الفرصة تلو الأخرى، ولكنه لم يستطع الوفاء بوعوده.

إن أبحاثه وقراءاته تستولي على كل وقته، وتستأثر بكل اهتمامه، حتى هوايته القديمة في السفر والصيد في الصحراء تركها وأهملها، وانقطعت صلته بها بعد أن ترك فريق الكشافة والرحلات المدرسية، ثم الجامعية، فكلُّ ما يشغله الآن هو البحث في حضارات ما قبل التاريخ، واستغراقه في البحث ينسيه زوجه؛ بل ينسيه نفسه.

ثارت زوجه وقد نفد صبرها، وقررت الانفصال عنه، وحمدت الله أنها لم تنجب منه أطفالًا، حتى لا يصيرون ضحايا، لا يوجد خاسر -إذن- في طلاقهما، فليذهب كل منهما في طريقه، ويمضِ إلى حال سبيله، ويعِش حياته كما يريد.

منذ ذلك الوقت و«مغامر» يعيش وحيدًا، خصوصًا بعد وفاة والديه، ولم يكن له أخوة، مما زاد من وحدته، فانعزل داخل بيته، يقضي جُل وقته في مكتبته، ولا يخرج منها إلا في حالات الضرورة أو استراحة قصيرة ربما حمل خلالها بعض الأوراق إلى الحجرات

الأخرى، ولا يخرج من بيته إلا للذهاب إلى عمله، أو لشراء الكتب أو استعارتها، أو لشراء حاجات المنزل الضرورية من مأكل وملبس.

وفي إحدى الليالي استبدَّ به السهر وهو يتابع قراءة كتاب أفلاطون وما تبعه من فلاسفة اليونان عن قارة أطلنطا، التي قيل إنها غرقت في مياه المحيط الأطلسي، لم يستطع «مغامر» أن يقاوم رغبته الشديدة في معرفة كل ما كُتب عن هذه القارة الضائعة منذ آلاف السنين.

تثور بداخله أسئلة كثيرة وتلح عليه، ولا يجد لها إجابات مقنعة، فكل ما ذكره العلماء والمؤرخون مجرد احتمالات وترجيحات، لا ترقى إلى مستوى اليقين، ويراها غير كافية ولا شافية، إذن لا إجابة لأسئلته في كل ما يطالعه من كتب ومخطوطات، وظلت تتوارد على ذهنه الأسئلة.

تُرى، أين كانت هذه القارة؟ وأين اختفت؟ وما أسباب غرقها؟ أهو بركان انفجر بداخلها؟ أم طوفان ابتلعها؟ أم زلزال هبط بها؟ وكيف كانت حياة سكانها؟ ومن أي السلالات جاءوا؟ أسئلة كثيرة حائرة ولا إجابة لها.

انشغل «مغامر» بأمر قارة أطلنطا وكأنه واحد من سكانها وقد نجا من الغرق، فنذر نفسه للبحث عن أهله الغارقين، عساه يستطيع

إنقاذهم، لا يدري ما الذي يشده إلى هذا الموضوع، ويجذبه جذبًا لمتابعته على هذه الصورة؟!

خطر بباله السفر إلى سواحل المحيط الأطلسي، قبالة الموقع الذي حدده أفلاطون، ورجَّحته المراجع التاريخية؛ لاستجلاء بعض الغموض الذي يحيط بالمسألة، فلعل المكان يلهمه، ويوحي إليه بإجابات لأسئلته التي تحيره وتقلقه.

طرقات على الباب توقظه من أفكاره، وتعيد إليه انتباهه، أسرع إلى الباب كي يفتحه، لا بدَّ أنه عباس ابن خالتي، لم يعد أحد يسأل عنّي غيره، برغم مشاغله الكثيرة يُبقي على مودتي، إنه إنسان وفي، وهو لي بمثابة الأخ الشقيق، منذ كنا طفلين نلعب معًا حتى كبرنا ونحن مرتبطان بأواصر القربى والصداقة والحب الأخوي، هذا ما خطر بباله بمجرد سماعه الطرقات، فتح الباب وقد علت وجهه ابتسامة عريضة، بادره عباس بالتحية:

- السلام على من اتبع الهدى.

- وعليكم السلام وعلينا يا عزيزي، والله لقد وحشني مزاحك وروحك المرحة وحديثك الشيق.

- لقد أحضرت لك بعض مستلزمات البيت، فأنا أعرف أنك تنسى كل أمورك، ولا تهتم إلا بالكتب والبحث عن المتاعب.

- لا أعرف كيف أشكرك، فأنت الوحيد الذي يهتم بأمري ويطرق بابي.

-«مُكره أخاك لا بطل»، فأنا أفعل ذلك بِرًّا بأمي، وليس من أجل سواد عينيك، فقد أوصتني قبل وفاتها أن أهتم بأمرك، وأسأل عنك، وأنت وحيد مثلي، وخصوصًا بعد وفاة والديك، وطلاق زوجك، فلا بُدَّ من العمل بوصية خالتك –رحمها الله– وهي في الحقيقة كانت أمًّا لي ولك.

- نعم كانت خالتي –رحمها الله– أمًّا لي ولك، وخصوصا بعد وفاة أمي، وأنت أخي الذي ليس لي غيره في هذه الدنيا.

- رحم الله الجميع، كان أبواك يحلمان أن يريا لك ذرية قبل وفاتهما، ولكنك ويالأسف خيبت أملهما فيك.

- قدر الله وما شاء فعل، هذا هو نصيبي، أما أنت فقد عوضك الله بزوجك وأطفالك عن فقد والديك.

- أحمدُ الله على ذلك .. وعقبالك ..

يصمت عباس قليلًا، ثم يقول: لا بدَّ أن تتزوج مرة ثانيةً يا دكتور.

يحاول د. مغامر تغيير موضوع الحديث؛ حيث إن فكرة الزواج مرة أخرى ليست واردة، ولا تروق له، فيتجه إلى عباس قائلًا:

- اسمع يا عباس أنا أفكر في رحلة إلى ساحل المحيط الأطلسي، حيث أقيم هناك في الصحراء بضعة أيام أو أسابيع، فهذا سيساعدني في البحث عن أطلنطا.

- أطلنطا؟! ولماذا تبحث عنها؟! وما الفائدة التي ستعود عليك من هذا العناء؟!

- العالم لا يبحث عن فائدة، وإنما دوره تفسير الظواهر من أجل الوصول إلى الحقائق، هذا قدر العلماء والباحثين.

- يا لك من مغامر، والله لقد صدق أبواك حينما أسمياك «مغامر»، يبدو أن شغفك بالعلم والبحث لم ولن يدعا لك وقتًا لعمل أي شيء آخر، صحيح «منهومان لا يشبعان؛ طالب علم، وطالب مال».

- الحمد لله أنني طالب علم ولست طالب مال.

- ليتك كنت طالب مال، فربما نالني من الحب جانب كما يقولون.

حاول مغامر إقناع صديقه عباس أن يصطحبه في رحلته إلى ساحل المحيط، لكن عباس رفض رفضًا باتًّا وقاطعًا؛ بل وحاول إثنائه عن هذه الرحلة، وقال في حزم:

- أتريدني أن أترك عملي وزوجي وأطفالي كي أذهب للبحث عن الأوهام، أنت باحث وعالم، أنت حر يا أخي، ما ذنبي أنا؟! أنا في الحقيقة لا تهمني أطلنطا، ولا قارات العالم جميعها.

بيد أن «مغامر» بعد أن يأس من إقناعه، طلب منه فقط أن يحمله ومتاعه بسيارته إلى المطار، ثم يعود لعمله وزوجه وأطفاله، ويتركه يستقل الطائرة إلى أقرب مدينة لساحل المحيط، حيث يبقى بضعة أيام هناك لمتابعة اكتشافاته.

وافق عباس على مضض على أن يكون ذلك في أثناء عطلته الأسبوعية، وانصرف تاركا «مغامر» يعد نفسه وما تتطلبه الرحلة من كتب، وخرائط، ومياه، وغذاء، وملابس، وخيمة، وفرش، وغطاء، وأشياء أخرى كثيرة.

في عطلة نهاية الأسبوع حضر عباس وحمل «مغامر» وما معه من أمتعة داخل سيارته، مع اللحظات الأولى من بزوغ الفجر بمجرد أن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، بدأت الرحلة، وتحركت السيارة في طريقها إلى المطار.

على سلم الطائرة ودَّع عباس ابن خالته «مغامر» وعاد، أقلعت الطائرة حتى وصلت إلى الساحل الشرقي للمحيط، بعد أن اجتازت السواحل الشمالية المطلَّة على البحر الأبيض المتوسط، خارج المطار استقل مغامر إحدى سيارات الأجرة، وسأل السائق عن اسمه، فأخبره أن اسمه «عابد» ودار بينهما حديث طويل، عرف من خلاله أن «عابد» من أحدى القرى المغربية القريبة من ساحل المحيط، رحَّب «عابد» بـ«مغامر» عندما علم أنه باحث مصري، وعرض عليه القيام بأي عمل يكلفه به، شكره «مغامر»، وتابعا السير، حتى وصلا إلى موقع محدد، فطلب من السائق التوقف ثم نزل يستطلع المكان، صاح «عابد» قائلًا:

- ما هذا المكان الموحش؟ أتريد أن تبقى هنا وحدك في هذه الصحراء النائية؟!

تأمل «مغامر» فيما حوله، وأرسل بصره عبر الصحراء الشاسعة بهضابها وتلالها وكثبانها الرملية التي تظهر على البعد من ساحل المحيط، حيث المياه الزرقاء التي تمتد إلى ما لا نهاية، بدت المنطقة كأنها بِكر، لم يطأها إنسان منذ خلقها الله، الرمال نظيفة، السماء صافية، والهواء نقي منعش، كأنه قادم من الجنة، وامتداد الفضاء

اللانهائي، فلا يوجد شيء يصدُّ البصر، كل هذا يُوقع في النفس الرهبة، ويملؤها روعة، تنعكس أشعة الشمس الذهبية فوق الرمال وفوق المياه في لوحة بديعة، هدوء لا يوقظه سوى صخب الأمواج المتلاطمة.

انتبه «مغامر» من تأملاته على صوت السائق يسأله: ماذا أنت فاعل يا سيِّدي الدكتور؟ إنني أقترح عليك أن تعود معي، وتعدل عن بحثك هذا، لا يجب أن تغامر بحياتك، لكن «مغامر» دون أن يرد أخرج خريطة من جيبه، وراح ينظر فيها تارة، وينظر إلى الموقع تارة أخرى، وبعدها اتجه نحو السيارة، وبدأ في إخراج الأمتعة من داخلها، داعيا السائق إلى مساعدته، وكان عليه بعد ذلك أن ينصب خيمته الصغيرة، ويضع بداخلها كل ما أحضره معه من أشياء، لم يجد الرجل بُدًّا من مساعدته ومعاونته.

وبعد أن أتم مهمته سأل «مغامر»:

- أتريد شيئًا مني قبل أن أنصرف؟

- لا .. لا، عد أنت بسلامة الله ولا تقلق عليَّ.

- كيف لا أقلق وأنت هنا وحدك في مكان ناءٍ وخالٍ من كل مظاهر الحياة، إنها وحدة قاتلة، ليتك تراجع نفسك، ولا داعي للتهور يا سيِّدي.

. هذا المكان تمُر به قوافل البدو وجماعات الصيادين، كما تمر به السفن والعبَّارات التي تعبر المحيط بين الشرق والغرب، والشمال والجنوب حاملة السلع والمسافرين.

- ليس هنا ما يدل على مرور أحد، أعتقد أنك أخطأت اختيار المكان، بالتأكيد أخطأت يا سيّدي.

- قلت لك أنا لم أخطئ في المكان، ومعي خرائط أستدل بها على المواقع التي أريدها.

- الأمر لك أولًا وأخيرًا، أما أنا فسوف أعود الآن، فالطريق أمامي طويلة جدًّا والباقي من النهار قليل، وهو بالكاد يوصلني إلى أقرب مدينة، ولكن سوف أعود إليك في حال إذا أردت العودة أو أردت شيئًا، وهذا رقم هاتفي، وسوف أتصل بك على هاتفك اللاسلكي الذي أعطيته لي، ربما تغير رأيك وتأتي معي، أنا واثق أنك ستغير رأيك.

ودع «مغامر» السائق، شاكرًا له نصائحه وتعاطفه معه، وألقى بنفسه على الرمال الناعمة خارج الخيمة؛ ليستريح من عناء الرحلة، تذكر حبه القديم للرحلات البرية مع الأصدقاء أثناء الدراسة، ومن بينهم زوجه التي كان يأمل أن تشاركه هوايته في البحث والاطلاع، غير أنها بعد الزواج قصرت اهتمامها على المطبخ والأعمال المنزلية، وانقطعت صلتها بالعلم فور تخرجها مثل معظم فتيات جيلها، تنهد تنهيدة عميقة تحمل بعض الأسى، تحول ذهنه إلى التفكير في أطلنطا، ها هو المحيط أمامي، وهذا هو الموقع المحتمل كما حددته الخرائط، تُرى أين غاصت قارة أطلنطا؟ في شمال المحيط أم في جنوبه أم في وسطه، وهل استقرت في قاع المحيط؟ وكم من الأميال بين سطح الماء وبين المستقر الأخير لأطلنطا؟

مالت الشمس إلى الغروب وأوشكت على المغيب، ظلَّ يتابعها بعينيه حتى اختفت تمامًا، وبدأ الشفق يغطي صفحة الأفق بخيوطه النارية، ثم اشتد هبوب الرياح، وزادت سرعة الأمواج، وعلا صوت تلاطمها، وبدأت فلول الظلام تهجم على المكان، بعد أن ابتلعت خيوط الشفق، شعر بوحشة شديدة، ورعشة تسري في جسده وتجول ببصره فيما حوله، فبدت له الكثبان والصخور البعيدة كأنها وحوش متحفزة للأنقاض عليه، نهض من رقدته وهو يتساءل:

- أين قوافل البدو، وجماعات الصيادين، وجماعات الغجر الذين كانوا يسكنون المنطقة؟ أين السفن والعبَّارات التي كانت تمر عبر المحيط؟ هل أخطأتُ في تحديد المكان كما قال السائق «عابد»؟ أم أن الخريطة السكانية تغيرت؟ إن المصادر كلها تشير إلى أن هذه المنطقة عامرة، وأن هذا المكان مأهول بالبدو والغجر، يبدو أن معلوماتي قديمة –أرشيفية- ولم يعد هذا المكان مأهولًا كما كان من قبل.

انتابه الخوف من المجهول وشعر بالضياع، ماذا أمامه أن يصنع في هذا المكان الموحش المهجور، وهو وحيد في قلب الصحراء، شعر بالندم وراح يلوم نفسه:

- ليتني ما جئت إلى هنا، إنها مغامرة غير محسوبة؛ بل مغامرة مجنونة، إن المكان هنا لا أثر فيه للحياة، ليتني عدت مع «عابد» وعملت بنصيحته.

تجمعت الأفكار السوداوية وتسلطت على رأسه فأسرع نحو الخيمة كي يحتمي بها حتى الصباح، عازمًا على الاتصال بـ«عابد» مع بزوغ أول ضوء للفجر.

الفصل الثاني

دخل مغامر خيمته وأغلق ستائر الباب بإحكام، وتكوم على الأرض لم يكف عن الصلاة والدعاء بصوت مسموع كمن يؤنس نفسه، الوقت يمر بطيئا وعصف الريح يدوي كزئير مخيف يكاد يقتلع أوتاد الخيمة، لكنه –رغم ذلك– لم يفارقه حلمه بالعثور على أطلنطا، أخرج بطارية صغيرة من أحد الأمتعة وأضاءها، ونشر الخريطة أمامه وراح يشير إلى بعض النقاط، من يدري لعل أطلنطا غرقت في هذا الموقع، ولكن كيف الوصول إليها؟

ركز ضوء البطارية على موقع آخر يحدد مكانًا محتملًا للقارة الضائعة، ثم بدأ يقرأ في إحدى الصفحات المقابلة من الكتاب ما يعينه على فهم الترجمات التي سجلها بقلمه على الهامش بعدة لغات كي يستعين بها في توضيح وكشف رموز الخريطة القديمة، تنقل بضوء البطارية بين السطور، تناهى إلى سمعه وقع خطوات رتيبة وهمهمة أصوات غريبة خارج الخيمة أخرجته من تركيزه، أصاخ السمع فلم يميز كلمة واحدة، أطفأ البطارية ثم أضاءها عدة مرات فلم يرَ شيئًا، لا بدَّ أنها هواجس، هكذا قال في نفسه: إن الخوف يصور له أشياء غير موجودة، اقنع نفسه بمقولة أمه . من يخف من

العفريت يطلع له . نحى الكتب والخرائط والبطارية جانبا، واستلقى على الفراش وأغمض عينيه وقد نال منه التعب والإحساس بالوحدة والوحشة، ظل يتقلب حتى غلبه النعاس.

في وسط الظلام الحالك رأى نافورة من الضوء تتراقص فوق الماء، وتنشر خيوطها كشلال من النور يندفع إلى الأمام ويخترق ستائر الخيمة، فتح عينيه مذهولًا، فإذا بخيوط النور تتجمع وتتشكل في صورة فتاة رائعة الجمال ممشوقة القد، تجرجر شعرها الذهبي الطويل فوق سطح الماء، وبدا وجهها مستديرًا مضيئًا مثل القمر في تمامه، وقد تغطى جسدها بسترة لامعة تلتصق بجسدها فيبدو كتمثال من لجين، وقد انعكست ألوان شعرها وسترتها على صفحة الماء فتماوجت وتداخلت الألوان الذهبية والفضية الزاهية، وإذا بالفتاة تدفع الأمواج بأكتافها العريضة وذراعيها القويتين اللتين تخرج منهما زوائد كأنها أهداب أو شراشيب حريرية، ظل يحدق في هذا المنظر الغريب بينما الفتاة تتجه نحو الخيمة، فإذا بالأهداب تتحور إلى زعانف مدببة الأطراف، هبَّ من رقدته جلس القرفصاء وقد تجمد الدم في عروقه، وظل منكمشًا وعيناه تحدقان في هذه المخلوقة القادمة من الماء، لم يميز إذا كان ما يراه حلمًا أم حقيقة، وهل هي جنية أم إحدى عرائس البحر، ارتعدت فرائسه عندما شاهدها تقترب من باب الخيمة، وصاحت بصوت جهوري، ونبرات واضحة، وعبارات محددة:

- أيها الإنسي، ماذا تفعل هنا؟ ولماذا أتيت.

هبَّ واقفًا مذعورًا دون أن يرد، عاودت النداء وزاد اقترابها، في خوف وتلعثم أجابها:

- لقد .. لقد .. أتيت لأبحث عن أطلنطا.

- وما اسمك ومن تكون؟

- اسمي «مغامر» وأعمل باحثًا في التاريخ القديم، وجئت لأبحث عن قارة أطلنطا الغارقة.

- إذن، أنت من نبحث عنه، لقد عرفتك.

- تبحثون عني، وهل تعرفونني، ومن أنتم؟

- سوف تعرف كل شيء، المهم أن تأتي معي الآن

- إلى أين؟

- إلى قصر المرجان لمقابلة الملكة.

- أي ملكة؟! ولماذا أقابلها؟! وماذا تريد مني؟ وأين أقابلها؟

- ستقابلها في قاع المحيط، حيث توجد أطلنطا التي تبحث عنها، والملكة في انتظارك منذ علمت بقدومك للبحث عن أطلنطا.

- وكيف عرفتم أنني أبحث عن أطلنطا؟

- قلت لك سوف تعرف كل شيء حينما تقابل الملكة.

- وكيف أستطيع النزول إلى قاع المحيط، حتمًا سأغرق.

سحبت جرابًا من تحت إبطها، وألقت به إليه، وطلبت منه أن يرتدي السترة البحرية التي بداخله، ثم يعلقه في وسطه، فبه بعض الأسلحة التي ربما يحتاج إليها في الطريق؛ للدفاع عن نفسه ضد ما يواجهه من أخطار.

كانت تتحدث بعبارات قوية، ولهجة آمرة، ونظرات حادة، لم يجد بُدًّا من طاعتها، داخل الخيمة خلع ملابسه وارتدى الستره البحرية، وربط الجراب -ذا الحزام الطويل- حول خصره، ثم خرج من الخيمة وسألها عما إذا كان في إمكانه الغوص في الماء دون أن يغرق.

انتزعت شوكة من زعانف ذراعها وغرستها في ذراعه وهى تقول:

- الآن سوف تتحول إلى مخلوق برمائي تستطيع التنفس، والعيش فوق الماء وتحته، هذه الشوكة بها سائل سوف يسري في جسدك، ويصل إلى خلاياك ويغير من خواصها، حالًا سوف تشعر بالتحول.

ما إن أنهت عبارتها حتى شعر «مغامر» بأن صدره يتسع، وذراعيه تقويان، وزال عنه الخوف والرهبة، نظر إلى كتفيه وذراعيه، فإذا بالزعانف اللامعة المدببة تغطيها، نظرت الفتاة إلى «مغامر» قائلة:

- لعلك الآن مطمئن إلى قدرتك على السباحة.

فأجابها: نعم ولكن أين تسكن الملكة، وما اسمك أنت، لم تعرِّفيني بنفسك حتى الآن؟

. الملكة تسكن في قصر المرجان، في جزيرة سبارتل، عاصمة أطلنطا، وليس بوسعي أن أخبرك عن شيء آخر، أنا فقط مكلَّفة بإيصالك إلى الملكة، أما اسمي فهو «أوبال»، مستشارة الملكة، وتعهد إليَّ بالأمور الهامة.

- وهل الطريق من هنا إلى قصر الملكة بعيد؟

- لا .. لا، ليس بعيدًا، سوف نسبح ونغوص مسافة ثلاثة آلاف ميل فقط حتى نصل إلى أسوار سبارتل.

- تقولين فقط، هذا محال بالنسبة لي، كيف أسبح ثلاثة آلاف ميل؟
- قلت لك لا تخَف، ما عليك سوى أن تتبعني وتسبح وتغوص وفق إشارتي، هيا لا تضيع الوقت.
- وهل تعرفين الطريق جيدًا؟
- في رأسي خريطة المحيط بكل تضاريسها، ولطالما أرسلتني الملكة في مهمات خطيرة، فكنت أجوب المحيط وأعود إليها بالنبأ اليقين، إنني عليمة بالممرات الآمنة التي توصلنا إلى جزيرة سبارتل عاصمة أطلنطا، عليك ألاّ تحيد عن الخط الذي أسبح فيه حتى لا تصطدم بالصخور وقمم الجبال فتهلك، أو تشدك إحدى الدوامات، فلا تستطيع الخروج منها.

غاصت «أوبال» في المياه وهو خلفها، وبين الحين والآخر ترسل له إشارات ضوئية أشبه بالومضات الخاطفة كي يسترشد بها ويتبعها.

طبقات فوقها طبقات من الظلام الدامس، لا يقطعهما سوى هذه الومضات، لم يعد يدري كم من الوقت مر، فقد تلاشى لديه الإحساس بالزمن، استبدَّ به التعب، ونال منه الإرهاق، وشعر بإعياء شديد، وتوقفت ذراعاه عن الحركة، فناداها بصوت واهن قائلًا:

لماذا لا نستريح قليلًا، لقد توقفت ذراعاي، لا أستطيع أن أكمل، التفتت «أوبال» إليه مطمئنة إياه قائلة:

لا عليك، لقد أصابك الإرهاق لأنك مازلت في مرحلة التمرين، ولم تتعود على السباحة والغوص لمسافات طويلة، سوف تألف هذه

الحياة، ويصبح الأمر عاديًّا ومألوفًا، ومع ذلك أمامنا مسافة قصيرة نستريح بعدها.

تنفس الصعداء، وأغمض عينيه ثم فتحها فرأى أضواء حمراء وزرقاء تتجه نحوهما، وتسلط عليهما كسهام موجهة، صاح «مغامر»:

- ما هذا الذي أراه؟

أشهرت «أوبال» سلاحها، وتهيأت للقتال كمحارب شجاع، وهي تقول:

- ألم أقل لك سوف تواجهنا مخاطر كبيرة، هذه الوحوش الشرسة الجبارة تستطيع ابتلاعنا في لحظات ولكم أغرقت السفن، وابتلعت الصيادين.

صارت الأشباح المخيفة تقترب أكثر فأكثر، فاغرة أفواهها، استعدادًا لابتلاع الفريسة، وقد كشرت عن أنيابها، وظهرت أسنانها الحادة ونظراتها المرعبة، وعندما زاد اقترابها تحولت إلى وحوش حقيقية، وازداد منظرها شراسة، انبرت «أوبال» في التصدي للوحوش المائية، وتصويب السهام نحوها، وقذف رؤوسها.

دون أن يدري استل «مغامر» سهمًا من جرابه، وصوَّبه إلى رأس أكبر الوحوش وأعنفها، فأصابه في مقتل، فأنقلب وسط الدماء الفوارة، هاجت بقية الوحوش تريد الفتك به، ولكن شجاعته ودقة تصويبه وتعاونه مع «أوبال» كانت سببًا في إصابة أكبر عدد من الوحوش المهاجمة، فأطفئت أنوارها، وتقهقرت للخلف، بينما سحبت «أوبال» «مغامر» وسبحت به في اتجاه آخر؛ ليواصلا السير في اتجاه أطلنطا.

ظل «مغامر» يسبح ويغوص مسترشدًا بالإشارات التي ترسلها «أوبال»، متتبعًا خط سيرها، إلى أن وصلا إلى قمة جبل صخري، فجلسا يستريحان بعدما بذلا من جهد جبار في السباحة، وفي محاربة الوحوش العنيفة، أثنت «أوبال» على شجاعة «مغامر» وإقدامه، مما كان له أكبر الأثر في الانتصار على وحوش البحر الفتاكة، وبدأت تشرح له وجهتها في السير، وأخبرته أنهما قطعا نصف المسافة تقريبًا، ولكن أمامهما ممرًّا خطيرًا سوف يعبرانه، تكثر به الحيتان المتوحشة، والسحالي السامة، وأسماك القرش الخطيرة المفترسة، وهي تنشط في هذا الوقت، وعليهما الانتظار فوق الجبل بعض الوقت حتى تدخل إلى مخابئها.

ما كادت تنهي عبارتها حتى سمعت صوت فحيح مخيف، التفتت خلفها، فإذا بثعبان مائي كبير يتسلق الصخرة كي يفتك بها، في سرعة خاطفة نزعت حربة من جرابها، وصوَّبتها على رأس الثعبان فاردته قتيلًا، ثم سبحت وخلفها «مغامر».

تحت الماء عالم غريب مريب، وأنواع من الكائنات تجل عن الحصر، طحالب ونباتات تتقاذفها الأمواج، صخور وجبال وهضاب، وشعاب ذات ألوان مختلفة، تبدو كأنها بيوت وكهوف للأحياء البحرية، مغارات أسفل الجبال، ودهاليز أشبه بالمتاهات، ممرات كثيرة تسلكها «أوبال» في مهارة عجيبة، مما يدل على أنها عليمة بخريطة أعماق البحار، أنها تحفظ تضاريسها جيدًا؛ بل وتعرف الأخطار المحتملة وكيف تواجها خلال الرحلة، وتستعد لها مسبقًا.

نظرت إلى «مغامر» وأخبرته أنهما عبرا منطقة الخطر، وأصبحا في أمان، ولم تبقَ أمامهما سوى مسافة يسيرة.

لكن «مغامرًا» توقف عن السباحة، معلنًا أنه متعب إلى حد الإعياء، توقفت «أوبال» وتلفتت حولها، ثم أصدرت صفيرًا عاليًا وهي تنظر يمنة ويسرة، فإذا عدد من الدلافين يأتي مسرعًا متجهًا إليها، ملبيًا نداءها، فزع «مغامر» من هذا المنظر، فهدَّأت «أوبال» من روعه، وأخبرته أنها حيوانات لطيفة وغير مؤذية، كما إنها صديقة لسكان أطلنطا.

علق «مغامر» ضاحكًا:

- وهل هي مستأنسة؟ أم إنكم عقدتم معها معاهدة عدم اعتداء؟

ردت «أوبال» ضاحكة:

- تقريبًا .. عمومًا هي صديقة لنا.

وصلت الدلافين ووقفت أمام «أوبال» كمن ينتظر أمرًا، فركبت هي دولفينًا كبيرًا، وركب «مغامر» دولفينًا آخر، وانطلقا يسبحان وخلفهما بقية الدلافين، وكأنها فرقة من الحرس، بهر «مغامر» بهذا الموكب الرائع، وخصوصًا أن الدلافين كانت تتراقص بهما وهي تعوم وتسبح كربان ماهر، وتُصدر صفيرًا متناغمًا، فبدا الموكب وكأنه فرقة من الراقصات والعازفات من طراز خاص.

تابعت الدلافين سيرها، مما يدل على أنها تعرف الطريق جيدًّا ولا تحتاج لتوجيه.

من بعيد لاحت أبراج شاهقة، ومنارات عالية، ومبانٍ عظيمة، تتلألأ أضواؤها وتتماوج ألوانها، وكلما اقترب الموكب ظهرت القصور المنيفة، والقباب والشرفات ذات الطراز الساحر الغريب.

طوال الطريق لم تبدأ «أوبال» بالحديث إلى «مغامر»، وإن سألها أجابت باقتضاب، وبعبارات وجيزة محددة دون أن تسترسل في الحديث، أو تستفيض في الشرح، فمُهِمتها هي أن تصل به إلى أطلنطا وتسلِّمه للملكة.

بدا «مغامر» مذهولًا مبهورًا، وسأل «أوبال» عن هذه المناظر الخلابة فأجابته بأنها قصور أطلنطا، فهما الآن على أبوابها، ولم يبقَ سوى اجتياز الأسوار.

ما إن وصلا حتى نزلا من فوق ظهور الدلافين التي انحنت أمام «أوبال» في أدبٍ جمٍّ، ثم انصرفت بعد أن أشارت إليها «أوبال» بالانصراف.

وقف «مغامر» مدهوشًا والدهشة تعقد لسانه، وعيناه مسحورتان مما تشاهده، قصور من المرجان وأعمدة من المرمر، زُينت بعقود من اللازورد وثريات من اللؤلؤ والياقوت تتدلى من السقوف، وطرقات من البلور وأشجار باسقة تحيط بالقصور، وقد تدلت منها عناقيد الفاكهة، وفوق الغصون طيور عجيبة ذات أجنحة أشبه بالزعانف لم ير مثلها من قبل، كلما تقدم إلى الأمام ازدادت دهشته، وزاد انبهاره بهذا العالم الأسطوري الساحر، الذي تفوق غرابته وروعته أساطير ألف ليلة وليلة، وراح يردد في نفسه:

- هل هذه جنة أم قارة غارقة؟!

شيئًا فشيئًا فتحت الأبواب، تناهت إلى سمعه موسيقى حالمة رقيقة، وخرج الحرس لاستقبالهما بشعورهم الكثيفة وملابسهم الحمراء اللامعة، وهم يحملون الأعلام والرايات التي تمجِّد أطلنطا ومليكتها «أسهار» سيدة البحار.

أشار كبيرهم بالدخول، فدخلت «أوبال» أولًا وخلفها «مغامر»، حتى وصلا إلى الممر المؤدي إلى قاعة العرش حيث توجد الملكة، وهنا التفتت «أوبال» إلى «مغامر» قائلة:

- أنت الآن في بلاط قصر المرجان، وهو مقر الحكم، ومقر الملكة، وسوف تدخل الآن للمثول أمامها، والملكة «أسهار» -سيدة البحار- محل توقير وإكبار من الصغار والكبار، ابدأ بالتحية، وأظهِر الاحترام، ولا تكثِر من الكلام.

أومأ «مغامر» بالموافقة دون أن يجيب، فقد كان مبهورًا بهذا العالم العجيب، الذي ما خطر على باله، أو دار بخلده أن يراه يومًا بعينيه، ظل واقفًا لا يصدق أهو في حلم أم حقيقة، أم إنها أحلام اليقظة، فرك عينيه كمن يحاول أن يسترد وعيه، أو يفيق من شروده.

الفصل الثالث

انتبه «مغامر» على صوت يناديه:

- تقدم يا «مغامر» لتمثل أمام الملكة «أسهار» سيدة البحار، دون أن يتكلم تقدم خطوات قصيرة للأمام، فإذا بباب عظيم من الفضة مطعم بالعقيق والياقوت يُفتح أمامه، وفي المواجهة عرش من الذهب، تزينه أصداف ملونة، وزعانف مرقشة، وتنبعث منه أضواء يكاد وهجها يخطف الأبصار، وفوق العرش جلست امرأة فائقة الحسن، بديعة الخلق، رائعة الجمال، وفوق رأسها تاج من الألماس مطعم بالأحجار والدر، بُهت «مغامر» لروعة المنظر، ووقف شاردًا، وزادت رهبته من جمال الملكة وجلال عرشها، بينما تقدمت «أوبال» وانحنت انحناءه خفيفة أمام الملكة، قائلة:

- مولاتي العظيمة «أسهار» سيدة البحار وملكة أطلنطا، هذا هو «مغامر» الذي كنا نبحث عنه، وقد أحضرته بعد جهد ومشقة.

- لقد قمتِ بعمل جليل يا «أوبال» سوف أكافئك عليه، ما كان أحد غيرك يصلح لهذه المهمة.

- إن مكافئتي هي رضاكِ يا مولاتي، وقد علمت أن أمره يهمك، فاجتهدت في الوصول إليه وإحضاره.

- نعم أمره يهمني جدًّا، فنحن نبحث عنه منذ آلاف السنين، وكنت على يقين بأننا سوف نجده، وأنه سيعود إلينا يومًا ما.

هنا انتابت «مغامر» حيرة شديدة، ونسي ما نصحته به «أوبال» عند الدخول على الملكة، "عليك أن تبدأ بالسلام، ولا تكثر من الكلام"، ولكنه اندفع متسائلًا، وقد تملَّكه العجب:

- عفوًا سيدتي، أنا لا أفهم شيئًا مما تقولين، من أين تعرفونني؟ وكيف تبحثون عني منذ آلاف السنين ولم يتعدَّ عمري الثلاثين عامًا؟

- ثلاثون عامًا فقط!! لا لا، أنت فاقد الذاكرة، إن عمرك الحقيقي بضع آلاف من السنين، لا بأس، سوف تعود إليك ذاكرتك، وتتذكر كل ما مضى، وتعرف كل شيء.

- مولاتي، أنا من عالم غير عالمكم، ولا أدري ماذا تريدون مني؟ ولماذا أحضرتموني إلى هنا؟

- لا تتعجل الأمور، وانتظر، سوف تفهم كل شيء.

أشارت الملكة بالصولجان، فتقدم خادم ضخم الجثة، يرتدي حلة حمراء وحزامًا أسود، نقشت عليه رموز معينة، تنم عن رتبته وأمرته قائلة:

- أحضر إكسير الذاكرة الذي أعده فيلسوف المملكة وكاهن المعبد.

انصرف الخادم فتوجهت إلى «مغامر» بالسؤال:

- اسمع يا «مغامر» ماذا يقول سكان البر عن قارتنا الحبيبة وسكانها؟!

- يقولون .. يقولون إنها كانت قارة يابسة مثل قارات الأرض الأخرى، وكانت تعيش بها بعض الشعوب، وإنها كانت ذات ثراء وحضارة ورقي، غير أن أهلها فسدت أخلاقهم، فغضب عليهم الرب، وسلط عليهم الماء، فغرقت القارة بمن عليها عقابًا لهم لسوء أخلاقهم وتدنيها، فهلكوا جميعًا.

هزت الملكة رأسها، ثم قالت في سخرية:

- يا للسذاجة، أهذا ما يقوله عنا أهل الأرض؟ الحقيقة غير ذلك تمامًا.

- هذا ما تقوله كتب التاريخ والباحثين في الحضارات القديمة.

- وأنت واحد منهم، وتصدق هذا الزعم، إنه محض افتراء.

استجمع «مغامر» شجاعته، كمن يواجه اتهامًا، وعليه أن يبرئ نفسه.

- نعم، لقد استغرقني البحث عن قارة أطلنطا، ولم أجد في مصادر التاريخ ما يشفي غليلي، فقررت البحث عنها بنفسي، وما قلته لك هو ما ذكره المؤرخون.

- إذن سأخبرك بالحقيقة، كانت قارتنا عظيمة الجاه، ذات حضارة ومجد وتطور ورقي، في وقت تفشَّت فيه الحروب والشرور بين القارات الأخرى، نتيجةً لسوء عملهم، وفساد أخلاقهم، واستبداد حكامهم وطغيانهم، وتسلط الأقوياء على الضعفاء، واستعبادهم،

فعمَّت الفوضى، وساد الظلم، وابتكروا وسائل التعذيب، وانتشرت صناعة السموم وأدوات الفناء، التي باتت تهدد كوكب الأرض كله، فغضبت الآلهة على هذا الكوكب، وأنزلت به العقاب، فانتشرت الأوبئة والأمراض، وكثرت الجرائم، وزاد فساد المفسدين.

إزاء كل هذا فكر حكماؤنا في طريقة لخلاص ونجاة قارتنا قبل أن تصل إليها الشرور والأوبئة والمفاسد، وتحل عليها اللعنة؛ لذا اجتمع الحكماء والعلماء والفلاسفة مع كهنة المعبد، وظلوا يؤدون العبادات ويقدمون القرابين، ويلهجون بالدعاء، ويناشدون الآلهة أن تنجيهم وشعوبهم، وتنقلهم إلى عالم آخر، وقد استجابت الآلهة، وفي غفلة من سكان الأرض غاصت القارة في الماء حتى وصلت إلى هذا المكان السري الذي اختارته لها الآلهة، حتى لا يعرف أهل الأرض مكانها فينقلون إليها العدوى.

كان «مغامر» يصغي لحديث الملكة وهو في حالة من الذهول، حتى أنهت حديثها، فسألها متعجبًا:

- كيف استطعتم العيش هنا وأنتم من أهل الأرض؟

- لقد عقدت آلهتنا اتفاقًا وديًّا مع آلهة البحار، فمنحونا صفات كائنات الماء اللازمة للعيش في الماء، فنبتت زعانفنا، واتسعت صدورنا، وتهيأت للتنفس داخل الماء، وأيضًا علَّمونا ما يصلح لحياة البحار، وكيفية التعامل مع الأحياء المائية الأخرى، وأصبح الماء بالنسبة لنا مثل الهواء لسكان البر الذي لا يستطيعون العيش بدونه، فلا يوجد فراغ في الكون، فإما أن يملأ بالهواء أو بالماء؛ بل

أخذنا على آلهة البحار عهدًا بحيث يكون في مقدرنا منح هذه الصفات لحلفائنا، وهو ما حدث معك، مقابل أن نعلمهم أشياء كثيرة عن حضارتنا البرية.

كان «مغامر» يصغي لحديث الملكة الغريب، وكيف تحوَّر سكان أطلنطا وتحولوا إلى كائنات بحرية، وصاروا من أهل البر إلى أهل البحر، إن جاز هذا التعبير.

نظرت إليه الملكة كمن تطلب رأيه فيما قالت، فعلق قائلًا:

- رغم غرابة ما تقولين، فليس أمامي سوى أن أصدقك، فما أكثر العجائب التي نسمع عنها، فأبناء الأرض يستعدون الآن للهجرة إلى الكواكب الأخرى، وهي أكثر بُعدًا من هنا، وقد وصلوا فعلًا إلى القمر، وساروا فوقه بأقدامهم، ويفكرون في غزو الكواكب الأخرى بسلطان العلم.

فردت الملكة:

- لا غرابة إذن فيما قلت.

- ولكن لماذا تبحثون عني؟ وكيف عرفتم مكاني؟ لم أجد جوابًا حتى الآن عن هذا السؤال الذي يحيرني.

- سوف أجيبك، حينما غاصت أطلنطا كان ملك البلاد قد أرسل ابنه وولي عهده إلى قارة مجاورة كي يصلح بين حاكم إحدى الدول والثائرين عليه من أبناء عمومته ومن الرعية، وبعد أن أتم الأمير مهمته أغراه بعض أصدقائه هناك بمشاركتهم في رحلة صحراوية؛ احتفالًا بالصلح الذي تمَّ على يديه، وعُرف عن هذا الأمير شغفه

الشديد بالصحراء وحبه للصيد في وديانها، وحدث أن تاهت مجموعة الأصدقاء في الصحراء نتيجة لتوغلهم وجريهم خلف الحيوانات البرية لاصطيادها، وتأخرت عودة الأمير في الوقت الذي حانت فيه لحظة اختفاء القارة كما حددتها الآلهة، وحينما عاد الأمير لم يجد أطلنطا، ولم يعرف مكانها، فعاش غريبًا بعد أن فقد أهله ووطنه، ومنذ ذلك الحين وهو يبحث عنا ونحن نبحث عنه، ولم نيأس في العثور عليه.

- وما علاقتي بكل هذا؟ وما شأني بقصة هذا الأمير؟

- هذا الأمير هو أنت يا «مغامر».

- ماذا تقولين يا سيدتي، أمير مرة واحدة!!! هل هذا معقول؟ لا بدَّ أنك تمزحين، إنني من أسرة بسيطة، لا تعرف شيئًا عن الإمارة، أنا لا أفهم ما تقولين.

- سأوضح لك الأمر .. حينما مات الأمير كومار، ولي عهد الملك شومار، وابنه الوحيد، حلت روحه في جسد آخر، وظلت تنتقل من جسد إلى جسد حتى استقرت في جسدك أنت.

- إذن أنتم تؤمنون بتناسخ الأرواح.

- بل هو تناسخ الأجساد، فنحن نؤمن بأن الأجساد تفنى، ولكن الأرواح خالدة، وبإمكانها أن تعيش حيوات متعددة في أجساد مختلفة، وتستمر تتناسخ من جسد إلى جسد إلى يوم البعث، نحن نؤمن بأن هناك حساب ختامي وجزاء عادل.

لحظات صمت وذهول بدت على وجه «مغامر»، فسألته الملكة إن كان يريد الاستفسار عن شيء وقد لاحظت عدم اقتناعه، فاستجمع شجاعته وقال في حزم:

- ولكن كيف عرفتموني؟ ومن دلكم على مكاني؟

ردت الملكة في هدوء وثقة:

- لقد تمكن عراف القصر -وهو عالم ذو فراسة- من الاتصال بأحد عرافي الأرض، وهو -أيضًا- عالم كبير في الغيبيات، وأعطاه صفاتك الجسدية والنفسية كما نعرفها، وكما دونها أبوك -الملك شومار- قبل وفاته، وأغريناه بمكافأة عظيمة من كنوز البحر من اللؤلؤ والمرجان، فداوم البحث عنك، وأخبرنا بأنك حضرت إلى المحيط، وتقيم داخل خيمة، فأرسلنا من يراقبك دون أن تشعر، حتى تأكدنا منك فأرسلنا في طلبك.

قبل أن يبدأ «مغامر» في الكلام، دخل كبير الخدم، وفي يده كأس من الفضة، بداخلها شراب ذو رائحة نفاذة، فوضعها أمام «مغامر»، ثم وقف بعيدًا يراقب الموقف، نظر «مغامر» إلى الكأس بريبة، ثم نظر إلى الملكة متسائلًا:

- إذا كانت روحي تنقلت بين عدة أجساد من خلال التناسخ كما تقولين، فكيف احتفظت بصفاتي الجسدية والنفسية التي تعرفونها وأعطيتموها للعراف كي يبحث عنّي؟

ابتسمت الملكة، ثم أجابت في هدوء بلغة الواثق:

- حينما تنتقل الروح من جسد إلى جسد آخر، لا بدَّ أن يكون بين الجسدين صفات مشتركة، فالروح تنتقي الجسد الذي يناسبها حتى تستطيع التوائم معه، بحيث يكون قريبًا جدًّا من الجسد السابق، أي إن الروح تحل في جسد شبيه بجسدها الأصلي، ونحن نرى الكثير من الأشخاص لا نعرفهم، ولكنهم يشبهون جدًّا أناسًا نعرفهم رحلوا عن الحياة.

لم يجد «مغامر» ما يقوله، غير أنه استأذن في الجلوس على أريكة قريبة، فأذنت له، وأشارت إليه بتناول الشراب قائلة:

- هذا إكسير الذاكرة، فاسترح وتناول شرابك، وسوف تتذكر كل شيء، أمسك «مغامر» بالكأس وظلَّ ينظر إليه في تردد، ثم ارتشف رشفة صغيرة، فوجد مذاقه لذيذًا، كأنه عسل مصفى، وبه لسعة ساخنة، حتى كاد الشراب يفور في فمه، فتشجع وارتشف كل ما بالكأس حتى نهايته، شعر بدوار شديد حتى كاد يسقط، فألقى بجسده كله على الأريكة، وراح في غيبوبة.

وبعد قليل، أفاق ونهض من فوق الأريكة، وراح ينظر حوله ويتفحص المكان ويتفرس في وجوه الحاضرين، ويقول في نفسه يا للعجب، من هؤلاء؟ كأني رأيتهم من قبل، إن ملامحهم ليست غريبة، يخيل إليَّ أنني أعرفهم، لكن تُرى أين رأيتهم؟

شريط من الذكريات المتواترة والصور المتتابعة، تتوارد على ذهنه وتتزاحم أمام عينيه.

تذكر أباه وأمه وأقاربه وأصدقاءه ورجال البلاط، والبلاد التي زارها، والمعاهد التي تعلم فيها، وكاهنة المعبد التي حذرته أنه سيتوه في الصحراء في يوم ما، ونصحته بعدم السير والسفر عبر الصحاري، لكنه لم يستمع إليها أو يلتفت لنصحها وتحذيرها بسبب حبه للصحراء وشغفه بصيد الطيور والحيوانات البرية، وقد تحقق ما تنبأت به العرافة كاهنة المعبد.

ذكريات كثيرة .. كثيرة، أين ذلك المخزن الذي استوعب هذا المخزون، وما أعجب هذه الذاكرة التي حوت ذكريات آلاف السنين، رغم تنقلها في أجساد عدة، ظلَّ هائما في بحر الذكريات التي تدفقت كأنها سيل عرم، انهارت أمامه كل السدود التي أقامها الزمن.

قطعت الملكة الصمت الذي خيم على قاعة العرش وباغتته بالسؤال عما إذا كان قد تذكر شيئًا عن حياته الماضية، أو عرف من هو، أجاب بلا تردد:

- أنا الأمير كومار ابن الملك شومار ملك أطلنطا، وأذكر طفولتي وشبابي، وأعرف أهلي جميعًا، وقصة ضياعي في الصحراء.

هبت الملكة واقفة وقد كست وجهها ابتسامة الفرح، وهبطت بضع درجات من سلم العرش، وصافحت كومار بحرارة قائلة:

- أهلا بك يا ابن عمي، مرحبًا بعودتك إلى أهلك ووطنك.

- أأنت ابنة عمي يا جلالة الملكة؟!

- نعم وسأعرفك على حاشيتي، هذا وزيري شملان وحارسي الخاص شرقان ومستشارتي الأمينة «أوبال»، وسوف تعرف بقية الحاشية تباعًا، نادت بأعلى صوتها:

- اليوم عاد الأمير كومار ابن الملك شومار ووريث عرشه، يا وزير شملان يجب أن نقيم الاحتفالات، ونعلق الزينات احتفالًا بعودة الأمير، اليوم هو العيد القومي للمملكة، هو عيد أطلنطا الحقيقي، أعلنوا ذلك على الشعب، وأعدوا ما يلزم يجب أن يكون الاحتفال عظيمًا يليق بوريث عرش أطلنطا.

تعجب كومار وسأل الملكة عما تقصده بقولها: "وريث عرش أطلنطا".

- مولاتي الملكة العظيمة، هل تعنين أنني سأكون ولي عهدك؟!

- لا يا أمير، سوف يتم تنصيبك ملكًا على أطلنطا، فأنت الوريث الشرعي للعرش، أما أنا فكنت أتولى الحكم بصفة مؤقتة.

- وما المانع أن تظلي أنت ملكة البلاد، وأكون أنا ولي عهدك؟

- لقد بطلت ولايتي على العرش بحضورك، هذا ما ينص عليه قانون أطلنطا، فبعد وفاة والدي الملك لم يكن له ذرية من الذكور أو إخوة، فحكمت البلاد لحين ظهور ذكر في العائلة تتفق درجة قرابته من الملك مع قانون البلاد، ويشترط القانون في حالة تولي المرأة الحكم ألا تتزوج مطلقًا حتى تظل ملكة، وفي حالة زواجها يصبح الزوج ملكًا وهي زوج الحاكم، ولا بد أن يكون زوج الملكة من الأسرة الحاكمة؛ ولذا بقيت بدون زواج، وتفرغت لأمور الحكم، وشؤون الرعية، أما الآن بعد عودتك لا بدَّ أن أتنحى عن العرش، فأنت

الوريث الشرعي للعرش، وأحق به مني، ويكفي أنك ابن مؤسس أطلنطا الجديدة في عالم البحار.

- وهل كان والدي مؤسس أطلنطا الجديدة في عالم البحار؟ كل ما أذكره أن والدي كان ملكا على أطلنطا قبل غرقها.

- أطلنطا لم تغرق أيها الأمير؛ بل انتقلت واختفت في هذا المكان بعيدًا عن أهل الأرض، ولقد علمنا من تاريخ المملكة أن الملك شومار والدك العظيم، حينما شعر بالخطر يقترب من شعبه وكان سلطانه يمتد إلى القارة كلها، جمع حكام المقاطعات وأبناء الشعب وأخبرهم بمخاوفه، من انتقال الفساد وشيوع الجريمة وتفشي الأوبئة عن طريق العدوى من القارات الأخرى، واقترح عليهم خطة لنقل القارة بأكملها إلى مكان بعيد، حتى لا يصل إليها البشر من سكان القارات الأخرى بشرورهم فوافقوه على ذلك، وأعطوه تفويضًا بالتصرف، لذلك اجتمع بالكهنة والعلماء والحكماء في المعبد، وأطلعهم على التفويض، وأخذوا معًا القرار بنقل القارة، واجتهدوا في صلواتهم ودعواتهم، واعتكفوا داخل المعبد حتى استجابت الآلهة، وأنقذت أطلنطا، ولا يزال هذا التفويض موجودًا في غرفة الأسرار الملكية.

- أيعني ذلك أن مجتمع أطلنطا خالٍ من الفساد والأوبئة؟

- نعم نحن في مملكة فاضلة، كل ما فيها حسن؛ لأنها تؤمن بالمثل العليا والقيم النبيلة وتطبقها؛ لذا فهي عامرة بالحق والخير والجمال والحرية والعدالة والمساواة.

- هذا رائع فعلًا، لقد كان حلمي أن أعيش في مدينة فاضلة، وكنت أعتقد أنها أسطورة يستحيل وجودها أو تحقيقها، ولكن لو سمحت مولاتي أريد أن أقوم بجولة في جزر القارة؛ كي أشاهد ما بها وما عليها، إنني أتوق لأن أرى هذا العالم عن قرب، وأقف على ما تقولين بنفسي، قبل تتويجي ملكًا على أطلنطا.

. هذا حقك يا أمير وسأرسل معك وفدًا يصحبك ويشرح لك كل شيء، ولكن بعد أن تستريح من عناء السفر.

أشارت الملكة لحارسها الخاص شرقان، وأمرته بالإعداد لرحلة الأمير، وتجهيز ما يلزم، وإعلام الوفد الذي سيصحبه حتى يعود سالمًا غانمًا.

استنفر كل من بالقصر لإعداد ما يلزم الرحلة من مركبة ومؤن وأدوات، وكذلك للإعداد للاحتفالات التي سيتم فيها تتويج الأمير ملكًا على أطلنطا، انشغل الجميع وفي مقدمتهم الملكة، بينما أوى كومار إلى الجناح الخاص في القصر الملكي، ليصيب قدرًا من الراحة قبل إعلامه بموعد قيام الرحلة، بينما عمَّت المدينة فرحة عارمة، وسعادة غامرة، بعودة الأمير الغائب.

الفصل الرابع

صورة الملكة الجميلة لم تفارق خيال كومار، منذ أن وقعت عيناه عليها، وهو مفتون بها، لم يرَ من قبل مثل هذا الجمال الساحر الجذاب، ولم يسمع مثل هذا الصوت الحالم الآسر، إنها تبدو كحورية، كم هي فاتنة ورائعة.

ظل فكره مشغولًا بها، وراح يتساءل: تُرى هل ترغب في ترك العرش لكي تتزوج، وتكون في حل من سلطة القانون؟ وهل هي مشغولة بحب شخص ما؟ لقد قالت: إنها كانت تنتظرني وتبحث عني، هل تراها تريدني كي أريحها من عناء الحكم، كي تتفرغ لحياتها الخاصة، وتعيشها كما تريد؟ أم أنها تحبني وتنتظر عودتي؟

ولكن كيف تحبني دون أن تراني أو تعرفني؟! ولكن .. ما المانع؟ لقد قالت لي أمام الجميع إنها تعرف صفاتي النفسية والجسدية، وربما أحبتني من أول نظرة كما أحببتها، كان بإمكانها أن تظل ملكة، ولا تكلف نفسها عناء البحث عني كي أسلبها عرشها، ثم إنها فرحت بعودتي فرحًا شديدًا، واستقبلتني بلهفة من ينتظر حبيبًا غائبًا، فما معنى كل هذا؟

أسئلة صعبة، وأصعب منها الإجابة عنها، هذا قدرك يا كومار، شعر بصداع شديد، فقد نال منه الإرهاق نتيجة لما بذله من جهد أثناء رحلته الطويلة الشاقة في السباحة والغوص لمسافة ثلاثة آلاف ميل، من ساحل المحيط حتى وصل إلى أطلنطا، غلبه النوم حتى صباح اليوم التالي، أرسلت الملكة في طلبه، فذهب لمقابلتها في قاعة العرش، حيث تباشر شؤون الحكم.

أرادت أن تعلمه بموعد قيام الرحلة، وبرنامج الزيارة، والأشخاص الذين سيقابلهم وغير ذلك.

عندما دخل كومار قاعة العرش، استقبلته الملكة بحفاوة بالغة، وحينما مدت يدها لتصافحه، أطبق عليها بكلتا يديه، بينما عيناه هائمتان في تأمل وجهها البلوري الساحر، وعينيها الزرقاوين، وشعر بأن أحلامه تتراقص في بحرهما، انجذب إليها انجذابًا شديدًا، ابتسمت الملكة في هدوء وخجل، ونظرت إليه في حنان وحب، وسحبت راحتها من بين راحتيه قائلة:

- تفضل يا أمير.

وأجلسته إلى جوارها، بينما هو لا يزال هائمًا، مأخوذًا، مجذوبًا في حضرة الملكة، شعر بالحرج فهمس لها في حياء:

- عفوا مولاتي، أرجو أن تعذريني عما بدر مني.

ردت في حنان وحب ووقار:

- لا عليك يا أميرنا.

استفسرت منه عما إذا كان قد نال قسطًا من الراحة، وقضى ليلته قرير العين، هانئ البال، فأجابها بأنه سعيد جدًّا، وأن رؤيتها كفيلة بأن تزيل ما به من تعب وهموم.

شكرته، وتمنَّت له رحلة ممتعة موفقة، ورجته ألا يطيل غيبته، وأن يعود سريعًا كي يستعد لحفل التتويج، وعدها بإنجاز المهمة في أسرع وقت ممكن، فهو لم يعد يطيق البعاد عنها، استأذن في الخروج لبدء الرحلة، أشارت الملكة لحارسها الخاص شرقان، وأمرته أن يصحب الأمير في جولته إلى أن يعود، ضحك كومار قائلًا:

- إذا كنت في المملكة الفاضلة، بعيدًا عن الشرور والجرائم، فما حاجتي للحارس؟

ابتسمت الملكة وردت في جدية:

- ولكنك معرَّض لمخاطر الطريق، والاعتداء من الكائنات الأخرى الغريبة عنا، والتي لا تلتزم بقوانين دولتنا، ولا تسير على مبادئها، كما إن الحكمة تقتضي أن تأخذ حذرك من أعداء غير ظاهرين، ربما يوجدون بيننا ولا نعرفهم، ومن ثم وجب الاحتياط، كما إن المثل العليا والقيم السامية، تحتاج لقوة تحميها، وعين ساهرة تحرسها، فتردع ضعاف النفوس، أن يعبثوا بها وبأمن البلاد، إن تطبيق العدل يجعل النفوس راضية، والتربية الحسنة، تجعل العقول واعية رشيدة، والضمائر يقظة، وهذا ما يخلق المجتمع الفاضل، نحن لم نحقق مملكتنا الفاضلة بالضعف؛ بل بوجود القوة إلى جانب القانون، الذي يكفل العدالة والمساواة والحرية للجميع دون تفرقة.

- وهل وجود القوة إلى جوار القانون كفيلة لقيام مجتمع فاضل؟
- طبعا إلى جانب اجتهاد الحكام والمسؤولين، وإخلاصهم في رعاية مصالح الرعية، وزيادة رفاهيتها، وتقديم المصالح العليا للبلاد ومستقبل الأمة على مصالحهم الخاصة، كما يجب أن يكون الشعب متعاونًا متفانيًا في أداء دورة كل في موقعه.

أومأ الأمير برأسه مصدقًا على ما قالته الملكة، وأضاف قائلًا:

- معك حق يا مولاتي، ما أروع أن يكون الحاكم عادلًا وقويًّا، فيكون مهابًا ومحبوبًا في الوقت نفسه.

رفع كومار يديه بالتحية، وانصرف وخلفه الحارس شرقان، وانضم إليهما «أوبال» والوزير شملان.

استقل الوفد مركبًا بلوريًّا رائعًا، يقوده ربَّان مدرب، وانطلق يجوب جزر القارة، مر الموكب أمام وادي بحري، تتحرك فيه كائنات هلامية قرمزية اللون، تنتشر زوائدها وتتحرك، وكأنها ورود جميلة ناضرة، تتلألأ ألوانها بدرجات الأحمر، استوقف المنظر الأمير كومار وأعجب به، وطلب من ربان المركبة الاقتراب أكثر، فزعت «أوبال» وهبت قائلة:

- سيدي الأمير، هذه الكائنات شديدة السمية وخطيرة جدًّا، إنها تجذب فريستها بهذه الألوان الجميلة الخادعة، وتسمى زهور البحر، وتمتلك شعيرات دقيقة سامة، تؤذي كل من يقترب منها.

عدل الأمير عن رأيه في الاقتراب، ومضت المركبة في طريقها، وعند موقع آخر طلبت «أوبال» من الربّان التوقف قليلًا، وأشارت قائلة:

- هنا توجد منابت المرجان واللؤلؤ الثمين، كل هذه الأصداف تحوي بداخلها لآلئ رائعة، مختلفة الأحجام والأشكال.

علق الأمير متسائلًا:

- ما هذه الشعاب التي تشبه النباتات؟

- إنها شعب المرجان، وهي ذات ألوان مختلفة كما ترون منها الأبيض والأحمر والأسود، وما بينهما من درجات.

- أنت خير مرشد ودليل يا «أوبال»، يا لك من حكيمة عليمة بخريطة المحيط وتضاريسه.

علق الوزير شملان قائلًا:

- وأيضا بأحياء البحر ونباتاته وأحجاره، من علمك كل هذا يا «أوبال»؟

- لقد تعلمت ذلك من أبي، كان عالمًا عظيمًا في شؤون البحر وكائناته، وكان مستشار المملكة؛ لذا ورثت عنه العلم والمنصب أيضًا، وأصبحت هوايتي معرفة كل شيء داخل المحيط، حتى اسمي «أوبال» هو اسم أحد الأحجار المائية الثمينة التي يقذفها البحر على الشاطئ إذا ثارت أمواجه، ومن خصائصه إذا استقر على اليابس عكس أول صورة تواجهه فتنطبع عليه كأنها رسمت بيد فنان، وسكان الأرض -وبخاصة النساء- يعشقون هذا الحجر، فيطعمون به حليهم، ويعتقدون أنه يجلب الحظ، ويمنع الحسد؛ لذا فهو مفضل في الزينة.

ضحك الجميع وسعدوا بحديث «أوبال» الطريف عن اسمها، وعن حجر الأوبال، وأعجبوا بمعلوماتها الغزيرة، ومضت المركبة إلى أن وصلت إلى جزيرة هادئة، فنزل الوفد وتركوا المركبة وربانها، وانطلقوا يتجولون على سطح الجزيرة، التي تكاثرت فوقه الصخور والهياكل العظمية ذات الحجم الكبير مشوهه الملامح، تبدو كأنها اندثرت من زمن سحيق.

علقت «أوبال»:

- إنها بقايا حيوانات برية ضخمة، انقرضت منذ زمن بعيد، قبل انتقال أطلنطا إلى قاع البحار، ولكن ظلت هياكلها كما ترون.

أضاف كومار:

- ربما كانت هياكل حيوان الديناصور الذي انقرض من آلاف السنين.

ونظر حوله وسأل مرافقيه عما إذا كان بهذه الجزر سكان يعيشون بها، أكد الجميع أن السكان عمومًا يتمركزون في جزيرة سبارتل العاصمة، حيث قصر الحكم، والمقر الرئيسي لهيئات الدولة، أما بقية جزر الأرخبيل التي تكون قارة أطلنطا، فالسكان بها قليلون، ومعظمهم ينتمون لقبيلة واحدة، أو ينحدرون من سلالة واحدة؛ لذا فهم متجانسون في الصفات، متآلفون في المعيشة، بعد ذلك انتقل الوفد إلى موقع آخر، تجمع فيه أمراء المقاطعات وحكام الجزر، الذين خفوا المقابلة وفد الملكة، تقدمت «أوبال» وقدمت كومار على أنه مبعوث الملكة أسهار، ويريد الوقوف على أحوال المقاطعات،

ونقل آرائهم ومقترحاتهم وشكواهم -إن وجدت-، ورفع مطالبهم إلى مسئولي الدولة، وجد كومار ترحيبًا كبيرًا وتجاوبًا معه، وجلس يحادثهم ويناقشهم، وتمكن من معرفة كل ما يدور في نواحي أطلنطا من أمور مهمة، وفهم السلبيات والإيجابيات من خلال حواره مع مستقبليه، حول شؤون حياتهم، ووجد أجوبة لكل ما يدور في ذهنه من أسئلة، وأظهر تعاطفًا مع من قابلهم فضلًا عن إلمامه بحياة البحار، وما بها من نبات وأحجار وجزر أثناء الرحلة.

خلال غياب كومار لم تكف أسهار عن التفكير فيه، والانشغال بأمره، ولم تبرح صورته خيالها، انتابها القلق، واستبد بها السهر والشوق والحنين، وراحت تتساءل ترى هل له زوج أو حبيبة في البر مشغول بها؟ ثم تبعد عن ذهنها هذا الخاطر قائلة:

- لا لا، ولماذا إذن يلقاني بهذا الشوق والحب الذي يشع من عينيه، ولماذا أحسست بإعجابه بي من أول نظرة، وفي كل لقاء أشعر أنه يريد أن يفصح عن مكنونات قلبه، إن نظراته توحي بهيامه بي، وتنم عما يكابده من شوق، وما يعانيه من وجد، حينما يلمس يدي يشعرني أنه عاشق بكل كيانه، لكنه لا يبوح بشيء، ربما يتهيب الموقف، ربما يخشى أن أصده، ربما ينتظر حتى يتأكد من شعوري نحوه، ربما وربما .. آه، متى تعود يا كومار؟ ومتى تصرح لي بحبك، وتبوح بمشاعرك؟ أنا على يقين من حبك لي، إن إحساسي لا يكذب، لا بد إنك أحببتني كما أحببتك منذ أن رأيتك.

هكذا عاشت أسهار حائرة قلقة، حتى عاد الوفد وقد زينت المدينة، واستعدت للاحتفال بعودة الأمير وتنصيبه ملكًا على أطلنطا.

دخل كومار على الملكة وهي جالسة على عرشها في أبهى زينتها، وكان اللقاء حارًا، فهنأته بسلامة العودة، وسألته عن انطباعه عن أطلنطا بعد هذه الجولة، حكى لها كل ما شاهده وما سمعه من سكان الجزر، ونقل إليها مطالبهم واقتراحاتهم، وعلق مبديًا رأيه الشخصي فيما عرفه خلال جولته البحرية، أعجبت الملكة بذكائه، ورجاحة عقله، وعمق تفكيره، وقوة شخصيته، وشعرت أنه يشاركها اهتماماتها، ويبادلها حبًا بحب، دون تردد سألها عن رأيها فيه، فأجابته في ثقة قائلة:

- أنت رائع يا أمير، وإنني أقدر فيك ذكاءك، وشجاعتك، وعلمك، وحلمك، ولطف حديثك، ومواهبك الكثيرة.

فرح كومار بهذا الثناء، وفكر أن يفاتحها في أمر عواطفه نحوها، وعزمه الزواج منها في حال رضاها، ولكنه رأى أن قاعة العرش هي مكان الحكم، ولا ينبغي الحديث في الأمور الخاصة بها أمام الوزراء والحرس، المسألة تتطلب ترتيبًا معينًا، هكذا حدَّث نفسه، لاحظت الملكة شروده، وفهمت بذكائها أنه يريد الحديث معها بعيدًا عن الرسميات، فسألته عما إذا كان يرغب في نزهة معها بزورقها الملكي، فرحب بالفكرة، ووافق على الفور، وأمسك بيدها وخرجا معا في اتجاه شرفة القصر، حيث يرسو زورق صُمم على هيئة دولفين، يحمل على ظهره عرشًا ملكيًا أسطوريًا، من البلور المزين بالأصداف

الملونة، ركبت أسهار وركب كومار إلى جوارها، وطافا حول القصر، ثم حول الجزيرة في نزهة رائعة، وتبادلا خلالها نظرات الإعجاب وعبارات الحب، وباح كل منهما للآخر بمشاعره، وحلمه بأن يجمعهما رباط الزوجية، وإنجاب الأبناء لوراثة العرش، والعمل معًا من أجل رقي أطلنطا، وإسعاد شعوبها.

مضى الوقت سريعًا وهما في غاية السعادة، ولاحظ كومار أن الملكة توجه الزورق كربَّان ماهر، فسألها لماذا لا تستعين بأحد العاملين في القصر ليقوم بهذه المهمة؟ فأجابته إنها تفضل أن تقود زورقها بنفسها في جولاتها الخاصة، حتى تتحرر من الرسميات التي يفرضها المنصب وتشعر بالحرية، أعجب كومار بفكر أسهار ومهارتها، إلى جانب افتتانه بجمالها، والسحر الذي يشع من عينيها، سألته لماذا تطيل التحديق في عينيَّ؟ وماذا ترى فيهما؟ وما مرادك منهما؟ أجابها بصوت هامس حالم:

مراد القلب أن أحيا لعينيكِ أناجيها

بها جنات أحلامي، أغني في روابيها

وأعشق حسنها النادي، فتسحرني معانيها

فهتفت أسهار منفعلة بالسعادة والفرح:

- هل أنت شاعر يا أمير؟! ما هذا الغزل الرائع.

رد كومار في مودة:

- إن جمالك سيدتي هو الذي جعلني شاعرًا، فالمعاني تجيش في نفسي، والعواطف تثور بداخلي، ولكن رقتك وعذوبتك هي التي أنطقتني، من الظلم أن أراكِ ولا أصير شاعرًا.

عاد الزورق إلى مرساه، فهبط كومار، وأمسك بيد أسهار، ودخلا القصر، واتجها إلى قاعة العرش، وأيديهما متشابكتان، وأعلنت الملكة أسهار على الحضور، أن الأمير كومار تقدم لخطبتها، وقد وافقت، ففرح جميع من بالقصر، واتفق على أن يتم الزواج يوم التتويج، حتى تعم الفرحة أطلنطا كلها.

أشارت أسهار إلى كومار، أن تصطحبه إلى غرفة الأسرار كي تطلعه على كنوز العائلة وأسرار الدولة، قامت ومعها كومار واجتازت عدة طرقات ودهاليز ملتوية، حتى وصلت إلى غرفة سرية، وقفت قبالة باب ضخم من الفضة عليه مفتاح كبير من الذهب ملتصق بالباب، يبدو كأنه نقش بارز، صاحت الملكة بلهجة مميزة:

- (افتح يا باب الأسرار للملكة أسهار).

تحرك المفتاح وفتح الباب، خطت إلى الداخل خطوات محسوبة، وطلبت من كومار أن يتبعها بالطريقة نفسها، وعادت ونظرت إلى الباب وصاحت:

- (اقفل يا باب الأسرار، وبداخلك الملكة أسهار).

فتحرك المفتاح وأغلق الباب، دهش كومار مما رأى وسمع وصاح:

- يا للعجب، لا بدَّ إنه سحر!

قالت أسهار:

- لا، ليس سحرًا؛ بل هو علم.
- إنه يذكرني بقصة علي بابا والأربعين حرامي.
- وما هي قصة علي بابا التي تذكرتها؟
- القصة تقول: إن عصابة مكونة من أربعين لصًّا، كانوا يختبئون في مغارة، ويحفظون بها مسروقاتهم، التي تحولت إلى ثروة ضخمة من الذهب والياقوت والمرجان، وباب المغارة لا يفتح أو يغلق إلا إذا صاح زعيم العصابة قائلًا: (افتح يا سمسم أو أقفل يا سمسم).
- وما شأن علي بابا بهذا؟
- حدث ذات مرة أن شخصًا يسمى علي بابا، كان يمر مصادفة، فسمع زعيم العصابة، وعرف السر، فاختبأ حتى انصرف اللصوص، وصاح: افتح يا سمسم، ففتح باب المغارة، فدخل وحمل ما استطاع من الأموال والجواهر، وخرج بالطريقة نفسها، وباقي القصة لا يهم.
- قصة طريفة على أية حال، ولكنني أوكد لك أن ما رأيته ليس سحرًا؛ بل هو علم، فقد تمكن علماؤنا من اكتشاف بصمة الصوت، وتم تسجيل صوتي، بهذه الطريقة المميزة؛ ولذا لا يفتح الباب أو يغلق إلا ببصمة صوتي، التي لا يستطيع أن يقلدها اللصوص، وبالتالي نأمن من السرقة؛ بل ونضمن السرية.
- هذا رائع فعلًا، فأنا أعرف أن العلماء قد توصلوا منذ وقت غير بعيد إلى اكتشاف بصمة الصوت، ويعدونها من محددات الشخصية، مثل بصمات الأنامل.

- ها ها .. ألم أقُل لك إن أطلنطا أكثر تحضرًا وعلمًا، إن علماءنا وحكماءنا اكتشفوا ذلك منذ آلاف السنين، والآن انظر، هذه غرفة الأسرار.

- يبدو أنها تحوي أشياء غريبة وثمينة؟

- نعم هي كذلك بالفعل، هيا تجول معي كي ترى ما بها.

أشارت بيدها إلى عدد من الخزائن قائلة:

- هنا كنوز العائلة وآثارها التي آلت إلينا، والتي سوف نتركها لأبنائنا من بعدنا.

واتجهت إلى الجانب الآخر وأشارت:

- انظر.

نظر الأمير إلى الحوائط التي مُلئت بالصور والكتابات، والتفت إلى الملكة متسائلًا في تعجب:

- ما هذه النقوش الغريبة التي تملأ الحوائط وكأنها طلاسم؟

- هذه هي الأسرار الحقيقية، وأيضًا لا يستطيع أحد الاطلاع عليها إلا بفك شفرة الصوت.

- إذن، يجب على كل حاكم أن يعلم خلفه بهذه الأسرار، ويرشده أن يضع بصمة صوته عليها، وإلا ما استطاع أن يفك طلاسمها.

- نعم، وهذا ما أردت أن أطلعك عليه، وسوف نضع بصمة صوتك بعد تتويجك ملكًا على أطلنطا، والآن انظر إلى الحوائط.

وعاودت النداء:

- (أيتها الأحجار، بوحي بالأسرار للملكة أسهار).

وما كادت تنهي عبارتها حتى ازدهت الجدران الحجرية، وظهرت الكتابات واضحة جلية، وبدت الصور مجسمة والحروف بارزة.

أشارت بطرف الصولجان إلى الجدران، وكلما صوبت الصولجان على موقع أضاء وتألق، حتى كاد ينطبق، وبدأت تشرح وتفسر، هذا جدنا الأعلى مؤسس أطلنطا الجديدة في عالم البحار، إنه والدك الملك شومار، وهؤلاء الملوك المنحدرون من سلالته، وقد سجل تاريخهم وانجازاتهم أسفل صورهم التي رسمها فنانوا أطلنطا العظام، وكذلك أوصافهم ووصاياهم لأحفادهم، وحينما يتم تنصيبك ملكًا سيكون لزامًا عليك قراءة هذا التاريخ، وحفظ تلك الوصايا والعمل بها.

اتجهت بعد ذلك إلى الجدار المقابل، وأشارت بعصا الملك:

- هنا نسخة من قانون المملكة، وتلك الصناديق تحوي الأموال والكنوز الخاصة بالأسرة الحاكمة، وبعض متعلقات الملوك الشخصية، ثم نسخة من أختام الدولة، وهنا الوثيقة الخاصة بك، وهي تحوي تاريخ غيابك وصفاتك كما سجلها أبوك الملك، والتي اعتمدنا عليها في البحث عنك.

وقف كومار طويلًا أمام الوثيقة يقرؤها، ويستعيد قراءتها محدثًا نفسه أنها فعلًا تصفه كما هو، إن الصفات المسجلة في الوثيقة هي نفس صفاته، يا للغرابة، تحول ببصره عن الوثيقة، وراح يتأمل غرفة الأسرار، والتفت إلى زاوية أشبه بالمقصورة، وسأل أسهار عن محتوياتها، اتجهت الملكة نحوها وأشارت بالصولجان في خشوع قائلة:

- هذا ركن خاص لآلهة أطلنطا ومعبوداتها، وأسفلها سجل للعلماء والفلاسفة، وقد سجلت أسفل صورهم نظرياتهم وعلومهم وتعاليمهم.

سكت الأمير ولم يعلق، فهمت أسهار أنه يريد الخروج، وأن هناك شيئًا ما لا يستريح إليه.

اتجهت نحو الباب وصاحت بلكنتها المميزة:

- (افتح يا باب الأسرار للملكة أسهار).

تحرك المفتاح، ففتح الباب، فخرجت، وخلفها كومار، وصاحت:

- (اقفل يا باب الأسرار فقد خرجت الملكة أسهار).

فأغلق الباب، بعد هذه المهمة تناول الأمير طعامه مع الملكة على مائدتها الملكية، ثم استأذنها في الذهاب إلى جناحه الخاص ليصيب قدرًا من الراحة.

كان كومار يرغب في الانفراد بنفسه ليرتب أفكاره، ويستوعب ما رأى في حجرة الأسرار، بعض الأشياء تروقه، وبعضها لا يروق له، ولا يستريح إليه، قضايا كثيرة تشغله وتحتاج إلى تفكير وتمعُّن، شعر أنه مقبل على أمر خطير، وأنه يمر بامتحان عسير، ولا يدري ما تخبئه له الأيام المقبلة.

الفصل الخامس

ظل كومار يفكر ويقلب الآراء، يا لها من مسؤولية عظيمة، وحمل ثقيل سوف يلقي على كاهله، توترت أعصابه وضاقت نفسه، وراح يردد الأمر جد خطير، خطر له أن يخرج بمفرده دون مرافقين، ليتحرك ويستكشف ما حوله من هذا العالم الغريب العجيب، قبل أن يصبح ملكًا محاطًا بالحاشية التي تكبل حركته، وتحد من حريته.

اتجه إلى شرفة القصر، وقرر أن يعوم ويسبح ثم يعود دون مرشد مثل سكان أطلنطا، فقد تعلم من «أوبال» الممرات الآمنة، وعليه أن يعتمد على نفسه، صار يقفز ويغوص ويعوم ثم يعود بجوار شرفة القصر وهو سعيد مسرور، قرر السباحة إلى مسافة أبعد، مطمئنًا أنه يسلك السبل نفسها التي سلكتها «أوبال»، رأى على البعد صخرة ذات قمة مستديرة مثل القبة، تشجع وسبح متجهًا إليها، متحديًا قدراته على معرفة خريطة المحيط وتضاريسها، وعندما صار على مقربة من قمة الصخرة، إذا بصوت يناديه:

- أقبِل يا كومار، أهلًا بك عندنا، أقبِل ولا تخف.

توقف برهة حتى يتقين مما سمع، فتكرر النداء:

- أقبِل يا كومار ولا تخف.

تصور أن أحدًا من العاملين بالقصر يتابعه ويتجسس عليه، وقرر إبلاغ أسهار لمعاقبة من قام بهذا العمل، وتعجب وسأل نفسه: مَن يجرؤ على مراقبة الأمير وريث العرش وملك أطلنطا المقبل، لا يجرؤ على فعل هذا إلا أسهار نفسها.

غيَّر وجهته استعدادًا للعودة، فظهرت أمامه مخلوقة غريبة تعترض طريقه وتعيد النداء السابق:

- أقبل يا كومار.

توقف عن السباحة وسألها:

- من أنتِ؟ ومن أين عرفتِ اسمي؟!

ضحكت ضحكة مجلجلة، تداخل صداها مع الأمواج المتدافعة، ثم أردفت:

- أنا إحدى أميرات البحار.

- وماذا تريدين مني؟

- أنت الذي تريد، لماذا أتيت إلى هنا؟

أطلقت ضحكتها المجلجلة العالية، أرتجف كومار، تمالك نفسه، وقال في تحدٍ:

- كنت أتجول لأكتشف المنطقة، هذا حقي، فلماذا تعترضين طريقي، دعيني أعود إلى حيث أتيت.

- هذه الصخرة منطقة حدود بين مملكتي ومملكة أسهار، وأنت تجاوزت ودخلت حدود مملكتي، كان لا بدَّ أن أوقفك، هل تظن أن مملكتي مستباحة يدخلها من يشاء دون مساءلة؟

- إذن أنت لست من سكان أطلنطا؟
- قلت لك إن لي مملكتي الخاصة، وتبدأ حدودها بهذه الصخرة.
- يبدو أنني ابتعدت كثيرًا عن سبارتل عاصمة أطلنطا، أعتذر عن هذا الخطأ غير المقصود.
- سأقبل عذرك، وأقترح عليك أن تأتي معي إلى قصري لمشاهدة ما يسرك، فربما نصبح أصدقاء، فأنا صديقة الملكة أسهار.
- لكن أسهار لم تخبرني بشيء من ذلك.
- ربما نسيت أو انشغلت بأمور أخرى، هيا معي لن تندم، ألست تريد استكشاف المنطقة، ومعرفة ما يدور في عالم البحار.
- بلى، هذا هو هدفي من المجيء إلى هنا.

وافق كومار على اقتراحها، ولبَّى دعوتها له للتعرف على مملكتها، فسبحت وهو خلفها، ودخلت به في مسارات وممرات ملتوية، حتى وصلت إلى مغارة أشبه بالمتاهة، وقفت أمام كهف صخري، يصطف أمامه عدد من عرائس البحر يشبهنها تمامًا، ويمسكن بأيديهن الحراب، وقالت بلهجة غليظة آمرة:

- ادخل يا كومار.

نظر كومار إلى الواقفات، وراعته نظراتهن المرعبة المسلطة عليه بحدة، دخل الكهف وهي خلفه، أغلقت الباب وصاحت بصوت جهوري:

- لن تخرج من هنا إلّا في حالة واحدة، أتسمع .. في حالة واحدة، وهي أن تتزوجني، هذا إذا أردت أن تبقى حيًّا.

هاج كومار، وانفجر غاضبًا فيها:

- أنا سوف أتزوج أسهار، وأصبح ملكًا على أطلنطا، دعيني أعود وإلاّ ستتحملين العاقبة.

- لن تستطيع العودة بمفردك، فقد سلكت بك طرقًا لا تعرفها، ولن يستطيع أتباع أسهار المجيء إلى هنا، والوصول إليك، وإلاّ تعرضوا لمخاطر كثيرة، والأهم من ذلك أنهم لن يعرفوا مكانك، خير لك أن تنفذ ما أطلبه منك، وإلا سيكون هلاكك على يديَّ.

خرجت وأغلقت الباب خلفها، أوصت إحدى الواقفات بحراسة الكهف، وانصرفت وتبعتها بقية الحارسات.

جلس كومار حزينًا يفكر، وقد انتابه اليأس، فأخذ يطرق الباب بعنف وينادي:

- أطلقوني .. أطلقوني.

لم يجبه أحد، جلس يبكي ويندب حظه، ويلوم نفسه على تهوره الذي انتهى به إلى هذا المصير المؤسف، مرت ساعات عديدة لم يعرف عددها، وأخيرًا فتح الباب، ودخلت عليه، هب ثائرًا وصاح فيها:

- ما هذا السجن الذي وضعتني فيه، ماذا صنعت حتى تفعلي بي كل هذا، أنا لا أعرفك اتركيني وشأني.

انتظرت حتى هدأت ثورته وقالت:

- اسمع يا كومار، سوف أخبرك بحقيقتي، أنا جنية من جنيات البحر، وكنت أطمع أن أكون سيدة البحار، وأن أجعل مملكة

أطلنطا تدين لي بالولاء، وأكون المتصرفة الوحيدة في هذا المحيط الهائل، لكن أسهار لم تدع لي فرصة، وشعبها متمسك بها، حاولت إغراءهم بالثورة ضدها والوقوف إلى جانبي، رفضوا بحجج واهية، يقولون إنهم مجتمع فاضل، لا يعرف الخيانة والتأمر وسفك الدماء، إلى آخر هذه الخرافات النظرية التي لا أؤمن بها، كما يزعمون أنها حكيمة وعادلة؛ ولذا فهم يحبونها، وهذا ما قوض حلمي، وأوصلني إلى اليأس من تحقيقه، وأخيرًا أخبرني كاهن الجن بنبوءة أعادت لي الأمل، وأكد لي أن النبوءة لن تتحقق إلا إذا تزوجت من إنسان قادم من البر، وتحول إلى حياة البحر.

صمت كومار وهو يصغي لحديثها العجيب، وسألها:

- ما أسمك؟

ضحكت ضحكتها المجلجلة الصاخبة التي تثير الرعب، وقالت:

- اسمي تيئم بنت عضرور ملك قبيلة الجن الأصفر، ولا بد أن أكون سيدة البحار وملكة المحيط بأي ثمن، أتسمع بأي ثمن.

خرجت، وأغلقت الباب، وأوصت الحارسة بتشديد الحراسة على الكهف حتى لا يهرب، بعد قليل فتح الباب، ودخلت الحارسة، وأبدت تعاطفًا مع كومار ورقت لحاله، فسألها:

- أما من طريقة أخرج بها من هنا؟

همست له قائلة:

- إن تيئم بنت عضرور الشريرة، لن تدعك تخرج، وإذا خرجت لن تعرف طريق العودة بمفردك، ولكن يوجد حل واحد، سوف أخبرك

به، لكن عليك أن تجاري تئيم، وتظهر لها الموافقة على الزواج حتى تسلم من أذاها، إلى أن أدبر حيلة للهرب.

انتاب كومار بعض الشك، وخشي أن تكون الحارسة تنصب له شركًا، أو تختبره بتعليمات من تيئم، فسألها مباشرة:

- وما مصلحتك في ذلك ألا تخافين من انتقام تيئم؟

فقالت:

- تيئم الشريرة قتلت أمي أمام عيني؛ لأنها رفضت تنفيذ بعض أوامرها، وأنا لا أشعر بالأمان معها، وأعرف أنها ربما تقتلني إذا اكتشفت أنني أساعدك، أو حتى أتعاطف معك، ولكن لي صديق من قبيلة الجن الأخضر، سيساعدني على الهرب والزواج منه، والانضمام إلى قبيلته التي تعادي تيئم فأعيش في حماها، فإذا تمكن من الحضور قريبًا، فسوف نهرب معًا، ونوصلك إلى طريق الأمان على حدود أطلنطا.

كان لوقع كلامها على كومار فعل الشفاء من الداء، فشكرها وعاود سؤالها:

- أليس بإمكان تيئم أن تتبعنا إلى هناك؟

فردت في ثقة:

- لا لا، لن تستطيع أن تخرج عن حدود قبيلة الجن الأصفر، لأن جميع قبائل الجن تكرهها بعد تكرار مؤامراتها، وطمعها في حكم البحار جميعا بمفردها وهي شريرة متسلطة؛ ولذا لن تستطيع أن تتجاوز موضع الصخرة المستديرة، وترى في أسهار غريمتها الأولى،

وخصوصًا أن أسهار عقدت معاهدات سلام مع قبائل الجن الأخرى، ولكن تيئم تحلم بأن تسلبها ملكها، وقد أخبرها العجوز عضرور، وهو كاهن القبيلة وحاكمها، أن الأمل الوحيد لها في حكم البحار والاستيلاء على أطلنطا، أن تتزوج أنسيًّا تحول إلى حياة البحر، فظلت تتلصص وتجمع الأخبار حتى علمت بخبرك، فتحينت الفرصة لاصطيادك.

- يا إلهي، ألهذا اصطادتني وحبستني هنا، وعرضت عليَّ الزواج منها؛ بل أمرتني أن أتزوجها، وهددتني بالقتل إذا رفضت؟!

- نعم، فطبقًا لنبوءة الكاهن، إذا تزوجت من إنسان البر الذى تحول إلى إنسان البحر، فسوف تخضع لها كل كائنات البحر، وتصبح ملكة بلا منازع، وتقضي على أسهار الملقبة بسيدة البحار، وبهذا تخضع لها أطلنطا وتنتصر على غريمتها؛ لذا يجب أن تصانعها حتى نتدبر الأمر، وافق كومار وقد عاوده الأمل في الفرار من سجن تيئم.

خرجت الحارسة وأغلقت الباب، بعد قليل عادت تيئم وفي يدها سوط له أفرع ودفعت الباب، وهي تلوح به وتشير إلى كومار قائلة:

- هل ما زلت مصرًّا على عدم الزواج بي؟

قبل أن ينطق تابعت حديثها:

- اسمع يا كومار سوف أعرض عليك عرضًا مرضيًا أراه مناسبًا لي ولك، أنا أعرف أنك تحب أسهار واتفقتما على الزواج.

- ومن أين عرفت ومن أخبرك؟

- الأمر ليس سرًّا، فقد علقت الزينات وأعلن الخبر في أطلنطا كلها، لا بأس سوف أتركك تعود إليها، وتتزوجها ولكن بعد أن تتزوجني وتتحقق النبوءة، وأصبح سيدة البحار، وتخضع لي كل الممالك البحرية، وحينئذ أكون قد حققت غرضي من الزواج بك، ولا حاجة بي إلى وجودك هنا، وسأطلق سراحك لتذهب إلى حيث تريد وتتزوج بمن تحب، ما رأيك؟

تذكر كومار نصيحة الحارسة بضرورة مجاراة تيئم، حتى لا توقع به الأذى، إلى أن يتم تدبير وسيلة للهرب، فتظاهر بقبول العرض، وسألها:

- ألا توجد وسيلة أخرى تحققين بها حلمك في ملك البحار؟

ردت في جسم:

- تلك هي الوسيلة الوحيدة كما أخبرني أبي ملك قبيلة الجن الأصفر وكاهنها، وأنا وريثته الوحيدة في حكم القبيلة، ولكني لا أقتنع برئاسة قبيلة صغيرة، وأريد إخضاع كل البحار لسلطتي، ويصير الجميع طوع أمري .. وكل ذلك لن يتحقق إلا بالزواج من إنسان بريء، تحول إلى إنسان بحري كما تقول النبوءة، ولن أدع هذه الفرصة تفلت من يدي وتضيع مني، أفهمت؟

مره أخرى يظهر كومار الموافقة ويبدو لطيفًا مجاملًا، فأخبرته بأنها ستتركه الآن وتذهب لتعد العدة للزواج وإعلام قبيلتها، وسوف تعود في اليوم التالي لإتمام الزواج وتحقيق حلمها.

ظل كومار في انتظار الفرج حائرًا قلقًا، يساوره الشك في صدق الجنية الحارسة، ويعاوده الأمل في الهرب والنجاة، وهكذا يمر عليه الوقت بطيئًا بين اليأس والرجاء، فماذا يصنع إذا لم يحضر صديق الحارسة من قبيلة الجن الأخضر، هل يتزوج تيئم الشريرة المرعبة، أم يعرض نفسه للموت على يديها، الوقت يمر وسوف تأتي غدًا وتجبره على الزواج بها، فماذا عساه أن يفعل وهو سجين هذا الكهف المخيف المظلم داخل هذه المغارة التي تشبه المتاهة؟

بينما الوساوس تكاد تفجِّر رأسه، أفاق على صوت يدفع الباب بحذر، وينادي ويطلب منه النهوض فورًا، هب مسرعًا فإذا بالجنية الحارسة تخبره أن صديقها قد أتى متخفيًّا لكي يصحبها إلى قبيلته، وأمسكت يده وخرجًا في خلسة، واندفعا يعبران المتاهة خلف الجني الأخضر في سرعة فائقة قبل أن تعود تيئم، وتكتشف هروبهم وتتبعهم.

ما إن وصلوا إلى الصخرة المستديرة حتى تبدد خوفهم، وهدأت حركتهم، بعد جهد عظيم ثم واصلوا العوم حتى ابتعدوا قليلًا، واطمأنوا أنهم خارج حدود قبيلة تيئم، وبعدها توقف الجني الأخضر والحارسة، والتفتا إلى كومار، وأخبراه أن الطريق آمن، وأشارا له إلى الوجهة التي يسلكها للوصول إلى أطلنطا، وودعاه وسبحا في طريق آخر إلى قبيلة الجن الأخضر، شكرهما كومار وتابع السباحة، قاطعًا الطريق من الصخرة ذات القبة المستديرة، حتى صار على أبواب أطلنطا.

ما إن وصل إلى أسوار القصر حتى هاله احتشاد الشعب والحاشية، وسمع بكاء وضجيج، الكل في حالة من الحزن نتيجة لغياب الأمير المفاجئ، وأصبح اختفاؤه لغزا يحير الجميع، وأرسلت الملكة فرقة من العاملين بالقصر تبحث عنه دون جدوى.

وعندما دخل القصر دوت الهتافات، وانطلق المنادي يعلن عن عودة الأمير كومار، هرولت الملكة لملاقاته وتبدل حزنها فرحًا بقدومه، وتوافدت أفواج من السكان لاستطلاع الأمر، والاطمئنان على الأمير، توجه كومار إلى أسهار واحتضنها قائلًا:

- سامحيني يا حبيبتي على ما سببته لك من حزن وألم، لا بد أن أعوضك عن هذا القلق.

استفسرت عما حدث له .. حكى لها ما كان من الجنية الشريرة الطامعة في عرش أطلنطا، وأخبر أسهار أنه ينوي بعد أن يستتب له الأمر أن يقضي على هذه الشريرة الحمقاء أو يؤدبها.

فعلقت أسهار:

- ألم أقل لك أن المبادئ والمثل تحتاج إلى قوة تحميها، إن منعة أطلنطا وقوتها لم تمكن هذه المغرورة من السيطرة عليها، وإذلال شعبها، والاستيلاء على ملكها، ولكم دبرت لنا من مكائد، ولكن حكماؤنا كانوا يحبطون أعمالها السحرية.

استأذن كومار من الملكة وذهب إلى جناحه ليستريح، بينما عادت الملكة إلى قاعة العرش لتباشر شؤون حكمها.

الفصل السادس

كانت هناك قضية مهمة تشغل فكر كومار، كلما حاول تجاهلها وإبعادها عن ذهنه، تلح عليه، فإلى جانب اهتمامه بالملكة والحكم والشعب، وكل ما عرفه وشاهده في أطلنطا، غير أن هذه القضية ظلت تؤرقه وتقلق راحته، فبرغم حضارة أطلنطا الزاهرة، فإن مسألة الاعتقاد وتعدد الآلهة لا ترضيه، إنه يحلم أن يحول شعوب أطلنطا من عقيدة الوثنية إلى عبادة الإله الواحد القادر على كل شيء، والخالق لكل شيء.

راح يتساءل ترى لو دعاهم إلى ترك آلهة آبائهم، هل يستجيبون له أم سيناصبونه العداء؟ أم سيدخل معهم في صراعات رغم ترحيبهم به وفرحتهم بعودته، ياله من عبء ينوء به أقوى الشجعان، ولكن رغم ما يتوقعه من متاعب لا بدَّ أن ينهض بتلك الرسالة السامية، إنه هدف يستحق أن ينذر له حياته، ويضحي من أجله، كيف يترك أهله وقومه يعيشون في ضلال؟ إن مدة إقامته على الأرض جعلته يشهد رسالات السماء، ويعرف تعاليمها التي أرسلها الله لهداية الخلق من إنس وجن.

أما أهل أطلنطا ربما لم تصلهم رسالات السماء، ولم يبعث فيهم رسل وأنبياء؛ لأن القارة غاصت بأهلها منذ آلاف السنين؛ لذا ربما كانوا معذورين، فهو الآن المكلف بدعوتهم لعبادة الإله الواحد، وترك عبادة الأصنام.

ولكن كيف يبدأ ومن أين يبدأ؟ هذا هو السؤال المهم الذي يفرض نفسه، خطرت له فكرة وهي أن يبدأ بإيصال فكرته إلى أسهار، فلو أنها اقتنعت وانضمت إليه، سيكون إنجازًا كبيرًا يذلل أمامه الصعوبات ويعضد رأيه، لا شك أنها ستكون له سندًا كبيرًا يؤازره ويدعم موقفه، استحسن الفكرة، لكن .. ساوره الخوف وتساءل:

ما العمل لو أنها رفضت الفكرة واتخذت منه موقفًا عدائيًّا، سوف ينقلب الجميع عليه ويثورون ضده، وربما قتلوه، وحينئذ سيخسر كل شيء حتى حياته، يا لهول الموقف.

ظل ساهرًا ساهدًا، لا يغمض له جفن، مترددًا بين إقدام وإحجام، وبعد تفكير طويل حزم أمره، وعزم على مواجهة الجميع ولو كلفه ذلك حياته، وقرر أن يبدأ بأسهار. استجمع شجاعته ونشاطه واتجه إلى قاعة العرش حيث تجلس الملكة أسهار، ما إن رأته مقبلًا عليها حتى أشرق وجهها بابتسامة محببة إليه، وخفت لاستقباله والاحتفاء به، وعندما اقترب منها ألقى عليها التحية بصوت مفعم بالحب، حمل خلجات نفسه، ونبضات فؤاده، وحرارة أشواقه التي تستعصي على الكتمان، تقدم باسطًا راحته للسلام، وهو يقول:

- صباح سعيد مولاتي الجميلة.

- صباح سعيد لأميرنا الجميل.

- أيتها الحبيبة الغالية، ما أعذب حديثك وما أروع محياك، اليوم أريد أن أحدثك في أمر مهم وخطير.

- كلي آذان صاغية، لعلك تقصد ترتيبات الزواج وحفل التتويج، وما يلزمه من إعداد وتنظيم.

- لا يا مولاتي، كل هذه الأمور أتركها لك، فأنت أقدر مني على إنجازها، وأما الأمر الذي أريد أن أعرضه عليك، فهو يخص شعب أطلنطا، وأريدك أن تعينيني عليه، لأنه يمثل تحولًا كبيرًا في حياتهم، وأخشى إن أعلنته وحدي يعرضون عني أو يثورون ضدي؛ لذا ألتمس نصحك ومعاونتك على القيام به.

- لقد أقلقتني يا أمير، يبدو أن الأمر خطير فعلًا، أشارت لمن بالقاعة بالانصراف، فانصرف الجميع فاقتربت منه أكثر، ودعته أن يتحدث بحرية ولا يخشى شيئًا.

تردد قليلًا كأنه لا يعرف كيف يبدأ، إلا أنه تشجع وشرح لها فكرته التي ينوي إعلانها، ودعوته التي عزم على الجهر بها.

أصغت الملكة إليه باهتمام، وحاورته بهدوء، وأوضحت له أنها لا تتصور أن تكون الآلهة كلها إله واحد؛ إذ كيف يستطيع إله واحد أن ينهض بكل شيء، ويقوم بكل الأعمال الأمر يحتاج إلى تخصص، فهناك إله الحرب، وإله السلام، وإله الزراعة، وإله الطب والحكمة، وإله الموتى؛ بل إن الآلهة بعضها ذكور، وبعضها إناث، مثل ربات

الجمال، وربات الخصوبة، كيف يمكن أن يقوم إله واحد بكل هذه المهام؟!

علق كومار ساخرًا:

- ماذا يحدث لو نام إله الزراعة مثلًا هل يجف النبات، ولو غضبت ربة الجمال، هل تصبح النساء دميمات؟ هذا يناقض العقل والمنطق ويرفضه الفكر السليم، إنما هو إله واحد لا يغفل ولا ينام ولا يسهو ولا ينسى، هو الذي خلق الكون بكل ما فيه، ومن فيه من العدم، وسوف يحاسب مخلوقاته الصالحة والطالحة، وعليهم تسجل الحسنات والسيئات فلا بدَّ من جزاء، حتى لا يكون مصير الطيب كالخبيث، والخيّر كالشرير.

كانت أسهار تصغي باهتمام شديد ثم قاطعته، قائلة:

- أين يوجد هذا الإله وكيف يكون، صفه لي؟

- علينا أن نؤمن به بشكل مجرد، فهو يجل عن الوصف، والتأمل في الكون والمخلوقات يرشدنا إلى وجوده، فهو خالقها والقادر على بعثها من العدم وحسابها، إنه الله الذي ليس كمثله شيء، ويحيط علمًا بكل شيء.

- وكيف عرفته إذا كنت لا تراه، ولا تحدد مكانه، ولا تملك وصفه، وكيف استدل عليه المؤمنون به؟

- لقد اختار الله من البشر رسلًا أرسلهم إلينا، يوضحون لنا منهج الصراط المستقيم، ويدعون إلى الخير وينهون عن الشر، وأيدهم بمعجزات وأعمال خارقة، لا يستطيع غيرهم القيام بها حتى

نصدقهم وهم يفعلون ذلك بإذن الله، وهؤلاء الرسل هم في الأساس أناس فضلاء .. مطهرون .. أمناء، وهم موضع ثقة الناس واحترامهم، وتحملوا كثيرًا من المشقة في سبيل نشر دعوتهم لهداية الناس، وإقناعهم برسالة الحق من أجل إصلاح المجتمعات.

بدأت الملكة تفكر وتناقش وتتفهم ما طرحه كومار، فراح يزيدها معرفة بالله والكتب السماوية والأنبياء، ويشرح لها ما غمض عليها، وما استغلق على فهمها، حتى أقنعها وشعر بأن فكرته لاقت لديها قبولًا واستحسانًا، ففرح بأن الله قد هداها على يديه، وظلا معًا يفكران في كيفية إعلان الأمر.

اقترحت أسهار أن يترك لها فسحة من الوقت كي تمهد للأمر، حتى يتقبله أهل أطلنطا، فهي أدرى بالتعامل مع رعيتها، فربما إرجاء الإعلان عن الدين الجديد بعض الوقت، يجعل الشعب يستوعب مبادئه التي سيتم تسريبها تدريجيًّا لإقناعهم بجدواها، وبالتالي تفادي الصدام الناتج عن المفاجأة التي قد تؤدي إلى رفض الموضوع برمته.

غير غنها –رغم تفاؤلها– لم تخفِ قلقها وشعورها بأنهم مقبلون على أمر خطير، قد يتطلب الكفاح والتضحية، فأخبرها كومار بعزمه وإصراره على مواصلة الجهاد مهما كانت التضحيات، وشجعها على الوقوف إلى جواره، وبشرها بالنصر والفوز ما داما يسعيان إلى نصرة دين الله ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ**﴾ [سورة محمد: ٧].

منذ ذلك الوقت بدأ كومار وأسهار يعدان العدة لهذا الحدث الجليل، بدأت أسهار خطتها، وراحت تبث مبادئ وتعاليم دين

التوحيد التي تعلمتها من كومار، وتدعو إليها وتوضح مزاياها ودورها في سعادة الخلق، وصلاح حالهم ونشر المحبة والتسامح بينهم، وتدعوهم للتعاون، والإخلاص في العمل، والصدق في القول، والالتزام بالفضائل، والبعد عن الرذائل، ظلت تدعو إلى هذه القيم وتشجع عليها هي وإتباعها، دون أن تنبذ الآلهة القديمة، أو تحقّر من شأنها، أو تسفه من يتبعونها، حتى تأكدت أن ما تدعو إليه لاقى قبولًا واستحسانًا من غالبية أهل أطلنطا، عند ذلك أبلغت كومار أن بإمكانه الآن أن يعلن عن نبذ الأصنام، وتعدد الآلهة، والدعوة لعبادة الله الواحد، وتم الاتفاق أن يعلن عن دعوته يوم تتويجه ملكًا، وزواجه من أسهار في الحفل نفسه، حتى تعم الفرحة وتكتمل السعادة.

وجاء يوم الاحتفال، وبدت أطلنطا في مهرجان أسطوري لم تشهده من قبل، في كل مكان زينات، ورايات، وأفراح، ومآدب، وهتافات بحياة العروسين، وزفة ملكية، وفرقة من عرائس البحر ترقص، والزوارق البلورية تطوف بالقصر، حاملة الزينات والمغنيات، وبدأ العروسان كبدرين ينيران ما حولهما.

ازدحمت قاعة العرش الفخمة بالمهنئين، وجلس العروسان، وأمامهما جمع من الحضور من كبار القوم.

وقف الوزير شملان معلنًا زواج الملكة أسهار سيدة البحار من الأمير كومار بن الملك شومار، الذي أصبح من الآن ملكًا متوجًا على قارة

أطلنطا بأسرها، وتقدم إلى الملكة التي خلعت التاج من فوق رأسها، وقدمته للوزير، فوضعه على رأس الأمير كومار، قائلًا:

- من اليوم أصبح الأمير كومار بن الملك شومار ملكًا على البلاد، وله السمع والطاعة منذ الساعة، دوت القاعة بالتصفيق والهتاف بحياة الملك الجديد.

وقف الملك وقدم شكره للجميع وبشرهم بعهد سعيد يسوده الحب والعدل، ووعدهم بالسهر على مصالح البلاد والعباد، وأثنى على زوجه الملكة أسهار، وحكمتها في إدارة شؤون البلاد وإخلاصها لشعبها، حتى أصبحت محبوبة الشعب، وعبر عن سعادته بزواجه منها، ووعدها بحياة سعيدة هانئة، تعالت الهتافات بحياة الملك والملكة والدعاء لهما بالسعادة والتوفيق، شكر العروسان الحضور، ثم أشار الملك إليهم بالجلوس قائلًا:

- يوجد أمر مهم نريد أن نطلعكم عليه.

أمسك بيد الملكة وبدأ الكلام:

- أنا والملكة نعبد إلهًا واحدًا، لا نقبل تعدد الآلهة، فالله واحد لا شريك له، ومن صفاته الكمال المطلق والقدرة المطلقة، هو الخالق العظيم، الرحمن الرحيم، هو الذي بدأ الخلق ثم يعيده، إنه يأمرنا بكل ما هو حسن، وينهانا عن كل ما هو قبيح.

وتحدثت أسهار، ودعت شعبها إلى الإيمان قائلة:

- أنتم أهل أطلنطا، أهل الحضارة والرقي أحق بالإيمان بهذه العقيدة السامية، وتلك الرسالة الخالدة، وإنها في الحقيقة تتفق مع ما

تؤمنون به من قيم نبيلة ومثل عليا، فقط علينا أن نؤمن بأن الآلهة هي في الحقيقة، إله واحد ليس له شريك، أو شبيه وعبادته واجبه.

دوت الهتافات وتعالت الصيحات مرددة:

(الله واحد لا شريك له، الله واحد لا شريك له).

فرح كومار وفرحت أسهار بهذا النصر وهذا النجاح، في تحقيق هدفهما، وظلا يرددان الهتاف مع الجماهير، وأخيرًا عندما انصرف الجميع، أقبلت أسهار على الملك تهنئه بتحقيق حلمه في هداية أهل أطلنطا إلى اعتناق دين السماء، ونشر عقيدة التوحيد، فرد عليها في سعادة وغبطة:

- لقد تحققت كل أمنياتي، وجدت أطلنطا بعد طول غياب، وهديت أهلها إلى عبادة الله، وترك دياناتهم الوثنية، وتزوجت من الملكة الجميلة أسهار، وأصبحت ملكًا، والآن يا حبيبتي الجميلة أنت شريكتي في الحكم، سوف أقنع حكماء المملكة بإصلاح دستور البلاد، بحيث يسمح للمرأة أن تشارك الرجل في المواقع، وتحمّل أعباء الحياة ومسؤولياتها، فالله قد جعل الحياة مناصفة بين ذكر وأنثى، وجعل للمرأة حقوقًا، كما أن عليها واجبات، هذا ما أمرنا به دين التوحيد.

غمرت الفرحة وجه أسهار وهتفت:

- يعيش ملك أطلنطا، شكرًا لك يا مليكي يا سيد البحار، ويا حبيب القلب والروح.

ابتسم كومار وضمها إلى صدره، ودفن وجهه في شعرها الذهبي، وهو يهمس يا توأم الروح يا نور عيني، اليوم عرسنا هيّا نرتشف رحيق الحب، ونطفئ جذوة الأشواق المشتعلة، فما أحلى اللقاء بعد طول انتظار.

تشابكت الأيدي وتلاقت العيون، وتصاعد خفق القلوب، وتحولت الكلمات إلى همس حالم، وكأن الكون كله يصغي إلى نجوى الحبيبين، ويسجل أسطورة حب خالدة بطلاها كومار وأسهار، وقد جمعهما الحب، ونبل الهدف، والاهتمام المشترك.

لحظات من السعادة لا توصف، عاشها العروسان الحبيبان في ظلال الحب، وبينما الملك كومار يذوب عشقًا وهيامًا بعروسه الملكة أسهار، أفاق على صوت يوقظه من النوم بغلظة، ويجذبه من ذراعه بشدة كمن يأس من إيقاظه، وهو يصيح فيه بصوت عالٍ.

- أفق يا رجل لقد انتصف النهار، وأنت ما زلت نائمًا!

هبَّ من نومه وجلس يحملق فيما حوله، الخيمة والبحر والسائق عابد، خرج من الخيمة، ورأى أمامه الصحراء المترامية بكثبانها وهضابها، نظر إلى صديقه عابد مذهولًا مستغربًا مما حدث، متسائلًا:

- ما الذي جاء بي إلى هنا؟ أين القصر؟ أين الشعب؟ أين حبيبتي الملكة أسهار؟ لقد وصلت إلى أطلنطا، وتوجت ملكًا عليها، وتزوجت مليكتها.

صاح عابد في استغراب وأسًى، وضرب كفا بكف وهو يقول:

- لا حول ولا قوة إلَّا بالله، يبدو أنك جننت يا مسكين، لقد أصابتك لوثة في عقلك، أو مس من الجن ألطف يا رب، واأسفاه عليك يا سيّدي الدكتور.

- ألا تصدقني يا عابد، قلت لك إنني وجدت أطلنطا التي أبحث عنها، وصرت ملكا عليها، وتزوجت من مليكتها أسهار سيدة البحار، آه أين ذهبت حبيبة القلب؟

- أصبحت ملكا على أطلنطا، وتزوجت الملكة، واسمها أسهار!! اسم جميل على كل حال يليق بالملك «مغامر»، وهذا القصر ذو الأوتاد الأربع المسمى خيمة.

غضب «مغامر» من سخرية عابد، وصاح فيه بحدة، مؤكدًا صدق ما يقوله:

- لقد غصت تحت الماء مسافة ثلاثة آلاف ميل، حيث قارة أطلنطا التي أبحث عنها، وتزوجت من مليكتها، وأصبحت ملكًا متوجًا، ونشرت عقيدة التوحيد بين سكانها، فقد كانوا وثنيين، ولديهم آلهة متعددة، فهديتهم لرسالة السماء، وعبادة الله الواحد، وأصلحت دستور البلاد.

هز عابد رأسه مشفقًا على «مغامر» وهو يقول:

- أهكذا بكل بساطة، ينصبونك ملكًا، ويزوجونك مليكتهم، ويستجيبون لدعوتك! من أنت حتى تفعل كل هذا؟

- أنا الأمير كومار بن الملك شومار، مؤسس دولة أطلنطا الجديدة، وموحد شعوبها ومنقذها من الغرق.

- كيف يكون منقذها من الغرق وقد غرقت بالفعل؟
- لا لا، أطلنطا لم تغرق، إنها انتقلت واختفت عن أنظار أهل الأرض، وغاصت في مكان سري حتى تسلم بحضارتها وشعوبها من شرور البشر، هكذا أخبرتني أسهار.
- وكيف غصت أنت تحت الماء، ووصلت إليها دون أن تغرق؟
- إن خبيرة البحار التي صحبتني حولتني لإنسان مائي، له خواص كائنات البحر، فسبحت تحت الماء دون أن أغرق.
- أفق يا سيّدي «مغامر» من أوهامك، لقد كنت تحلم، هل الخوف والوحشة أسلماك إلى هذه الكوابيس، أم أصبحت مسكونًا بالجن؟!
- لست أدري أكان حلمًا أم حقيقةً؟ من دقائق كنت في عالم آخر ممتع، صحيح رحلة متعبة لكنها رائعة، يا له من حلم طويل ..

التفت إلى عابد وسأله:

- تراني نمت كثيرًا، لقد فقدت الإحساس بالزمن؟
- أظنك نمت يومًا أو بعض يوم، أو ربما يوم وليلة، ليس أكثر من ذلك على كل حال .. كل هذا حدث في يوم وليلة، أشعر أنني عشت زمنًا طويلًا جميلًا ممتلئ بالمفاجئات والأحداث السعيدة.
- قلت لك أفق من أوهامك، وعد لأرض الواقع، إنه مجرد وهم سيطر عليك.
- ولماذا أيقظتني من نومي، ولم تدعني أحلم، لقد كنت أعيش في عالم لذيذ ممتع، سامحك الله يا عابد، لماذا جئت إلى هنا مرة أخرى؟ ألم تتركني وتنصرف عائدًا إلى عملك كما قلت!

- الحمد لله عادت إليك الذاكرة، أسمعني إذن يا سيِّدي الباحث، بعد أن رجعت إلى بيتي، وتركتك في هذه الصحراء القاحلة التي لا زرع فيها ولا ماء، إلا ماء المحيط المالح طبعًا، أشفقت عليك وخشيت أن يصيبك مكروه، أو تتعرض للهلاك، أو ينفد ما معك من ماء وزاد، وبالطبع لن تستطيع التصرف بمفردك، ولن تجد من يعينك؛ لذا حاولت الاتصال بك مرارًا ولم ترد، فأصابني القلق، وقررت أن أعود إليك في اليوم التالي، فربما أقنعك بالعودة إلى بلدك، والرجوع عن بحثك هذا، ويبدو أنك نمت منذ أن تركتك بالأمس، حتى انتصف نهار هذا اليوم نتيجة لإرهاقك الشديد، كما إن الهدوء هنا يساعد على الاسترخاء، والاستغراق في النوم.

اقتنع «مغامر» بتفسير عابد، وقال:

- يبدو أن عقلي الباطن المشغول بالبحث عن أطلنطا، وحبي للصحراء صور لي هذه الأوهام، التي لا أستطيع أن أؤكد إن كانت رؤى نائم أم أحلام يقظة، وهي في كل الأحوال تجربة مثيرة، لم تكن لتحدث لي لو أنني لم أحضر إلى هنا.

- كفاك أحلامًا يا سيِّدي الدكتور، وعُد إلى الواقع قبل أن تفقد عقلك، هيا لتعيش في الواقع ودعك من هذا الهذيان الذي لا فائدة منه، ولا طائل من ورائه، ولم تجنِ منه سوى المتاعب .. ما ذنبي أنا كي أشاركك هذا العناء.

ظل «مغامر» صامتًا، وهو يستمع إلى حديث صديقه، واتهامه له بالجري وراء الأوهام، وتضييع الوقت في أمور غير مجدية، بقي ساكنًا لا يتحرك، فتقدم عابد وربت بيده على كتفه قائلًا:

- قم نستعد للسفر، ويكفي ما تحملت من مشاق وما لاقيت من متاعب.

لم ينتظر السائق جوابًا؛ بل راح يخلع أوتاد الخيمة، نهض «مغامر»، وبدأ يجمع حاجاته، ويضعها في الحقائب استعدادًا لنقلها إلى السيارة، وهو صامت لا يجد ما يقوله .. بعد إخفاقه في مسعاه.

أراد عابد أن يخرجه من صمته، فقال له متهكمًا:

- استرح أنت يا جلالة الملك، ودع خادمك الأمين المطيع يقوم بالعمل وفق ما تريد، ما عليك سوى أن تأمر فتطاع، يا مولانا المعظم كومار ابن الملك شومار.

انفجر الاثنان في الضحك، وانطلقا يحملان الأمتعة إلى السيارة .. وركبا .. وبدأت السيارة في التحرك، بينما «مغامر» يردد:

- لن أستسلم لليأس من العثور على تلك القارة الضائعة، وسوف أعاود النظر في المراجع والكتب والخرائط، فأنا على يقين أنها موجودة، وسنعثر عليها في يوم ما؛ ولذا لن أتوقف أبدًا عن البحث عن أطلنطا.

تمت بحمد الله

نوال مهنى

الفهرس

- الإهداء ٥
- نبذة تاريخية ٦
- الفصل الأول ٨
- الفصل الثاني ١٩
- الفصل الثالث ٢٩
- الفصل الرابع ٤١
- الفصل الخامس..... ٥٥
- الفصل السادس ٦٥
- الفهرس.....٨٧